

Mail in the Caliphate of Al-Walid bin Abdul-Malik (86-96 AH/705-715 AD)

Mr. Khalid Abdullah Alsaeed

King Saud University | KSA

Received:

23/12/2024

Revised:

02/01/2025

Accepted:

13/01/2025

Published:

28/02/2025

* Corresponding author:

khalidaltamimi2030@gmail.com

Citation: Alsaeed, KH. A.

(2025). Mail in the Caliphate of Al-Walid bin Abdul-Malik (86-96 AH/705-715 AD). *Journal of Humanities & Social Sciences*, 9(2), 42 – 62.<https://doi.org/10.26389/AJSRP.E251224>

2025 © AISRP • Arab

Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• Open Access



This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Mail is one of the essential components of any administrative system in any country; through it, it is easy for those in power to know the conditions of their kingdoms and control their situations, in addition to their need for it to communicate with the rulers of other kingdoms. Similar to many contemporary studies that dealt with mail and its conditions in the Islamic eras, the researcher shed light in the first section on the definition of mail, traced the origin of this word, then gave a glimpse of its conditions among some ancient nations, and followed that by referring to the names of postal workers and their jobs, in addition to the animals used in transporting mail, the roads they take, and the stations they stop at. As for the second section, he pointed out that the Arabs in their pre-Islamic era knew mail as indicated by their poetry. The Prophet, peace and blessings be upon him, needed it to monitor the movements of his enemies and to inform the rulers and kings of the call to Islam. The need for it increased during the era of the Rashidun Caliphs to be aware of the conditions of the armies of conquest and to know the news of the subjects in the conquered countries. The mail witnessed a great leap during the era of the Umayyads, as they established a bureau for it, took care of its stations, expanded its work, and increased its means. As for the third section, the researcher devoted it to reviewing the additions made by Caliph Al-Walid bin Abdul-Malik to the postal system, in addition to his contributions to meeting the political, military, security, and even personal needs of the state.

Keywords: Mail, Administrative system, Era of the Umayyads, Caliph Al-Walid bin Abdul-Malik

البريد في خلافة الوليد بن عبد الملك (86 – 96هـ/705 – 715 م)

أ. خالد عبد الله السعيد

جامعة الملك سعود | المملكة العربية السعودية

المستخلص: يُعدّ البريد واحدًا من المقومات الضرورية لأي نظام إداري في أي دولة؛ فبواسطته يسهل على أصحاب الأمر الوقوف على أحوال ممالكهم وضبط أوضاعها، فضلًا عن حاجتهم إليه في الاتصال بحكام الممالك الأخرى. وعلى غرار كثير من الدراسات المعاصرة التي تناولت البريد وأحواله في العصور الإسلامية، فقد سلّط الباحث الضوء في المبحث الأول على التعريف بالبريد، وتتبع أصل هذه اللفظة، ثم أعطى لمحة عن أوضاعه عند بعض الأمم الغابرة، واتبع ذلك بالإشارة إلى مسميات عمال البريد ووظائفهم، إضافة إلى الدواب المستعملة في نقل البريد، والطرق التي يسلكونها، والمحطات التي يتزولونها. أما المبحث الثاني، فقد لفت إلى أن العرب في جاهليتهم عرفوا البريد كما تدل عليه أشعارهم، واحتاج النبي ﷺ إليه في رصد حركات أعدائه، وتعريف الحكام والملوك بدعوة الإسلام، وزادت الحاجة إليه في عهد الخلفاء الراشدين للإحاطة بأوضاع جيوش الفتح، ومعرفة أخبار الرعية في البلاد المفتوحة، وشهد البريد في عهد بني أمية قفزة كبيرة؛ إذ جعلوا له ديوانًا، واعتنوا بمحطاته، وتوسّعوا في أعماله، وزادوا في وسائله. وأما المبحث الثالث، فقد خصّصه الباحث لاستعراض الإضافات التي أدخلها الخليفة الوليد بن عبد الملك على نظام البريد، إلى جانب إسهاماته في تلبية احتياجات الدولة السياسية والعسكرية والأمنية وحتى الشخصية.

الكلمات المفتاحية: البريد، النظم الإدارية، العهد الأموي، الخليفة الوليد بن عبد الملك.

المقدمة:

يُعدّ البريد واحدًا من المؤسسات الحضارية الإسلامية، ووجهًا من وجوه النظم الإدارية في تاريخها الطويل. ولم تقف مهمة البريد عند المسلمين على مجرد تبادل الرسائل بين الملوك، أو بينهم وبين عمّالهم، بل اتسعت مهامه لتشمل الجوانب الأمنية والعسكرية والحضارية. إن من يقرأ في تاريخ البريد ونشوئه، سيجد أن نشأته تعود إلى أزمنة بعيدة حين أصبح من الضرورات التي لا غنى عنها لأي نظام سياسي؛ للوقوف على أوضاع البلاد من الداخل من جهة، والاتصال بغيره من النظم السياسية في الخارج. ولما قامت دولة الإسلام في المدينة زمن النبي ﷺ؛ احتاج المسلمون إلى البريد للاطلاع على أخبار أعدائهم، ولتنشر الإسلام في جزيرة العرب وخارجها، وازدادت الحاجة إليه في زمن الخلافة الراشدة (11 - 40هـ/632 - 661م) بعد أن انثالت جيوش الفتح خارج الجزيرة؛ لتنشر رايات التوحيد وتهدم قلاع الكفر. ولما قامت الدولة الأموية؛ تفتتق ذهن معاوية بن أبي سفيان (41 - 60هـ/661 - 680م) عن إنشاء ديوان للبريد؛ لينقله بذلك من طوره الساذج إلى طوره المؤسسي، وفي خلافة عبد الملك بن مروان (65 - 86هـ/684 - 705م) خطا نظام البريد خطوات واسعة إلى الأمام، وواصل البريد في خلافة الوليد بن عبد الملك (86 - 96هـ/705 - 715م) نموه وازدهاره؛ مستفيدًا من حالة الاستقرار السياسي في الداخل، والتوسع العسكري في الخارج. وهو ما نزمع دراسته في بحثنا هذا.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الدراسة في إضاءة جانب - لم يلقَ ما يستحق من العناية - من جوانب الحياة الإدارية في التاريخ الإسلامي وهو البريد، والكشف عن جهوده الجليلة في خدمة مصالح الدولة، واستعراض أبرز التطورات التي مرَّ بها، وبخاصة في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك.

سبب اختيار الموضوع:

إن سبب اختيار هذا الموضوع يتخلص في أمرين: أولهما: قلة الدراسات المعاصرة التي أفردت لنظام البريد في التاريخ الإسلامي، والآخر: قلة الدراسات المعاصرة أيضًا التي تناولت سيرة الخليفة الوليد بن عبد الملك والتطورات الحضارية التي شهدتها خلافته (86 - 96هـ/705 - 715م).

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة الوصفية على المنهج العلمي المتبع في الدراسات التاريخية بكلياته وجزئياته، ابتداءً من جمع المادة العلمية الخاصة بموضوع الدراسة من مصادرها المتنوعة، ومن ثم دراستها وتحليلها وتبويبها، بحسب مباحث الدراسة، مع مراعاة الالتزام بأساليب توثيق المعلومات المتعارف عليها في البحث العلمي الرصين، كالتعريف بالأماكن التي تحتاج إلى تعريف، وتوثيق النقول من المصادر والمراجع، وتصحيح الأخطاء الإملائية والإعرابية الواردة في بعض المصادر والمراجع.

صعوبات الدراسة:

ما من دراسة إلا واعترضتها جملة من الصعاب، ولعل أبرزها قلة المعلومات عن البريد في المصادر بصفة عامة، وشح الأخبار عن أحوال البريد في خلافة الوليد بن عبد الملك وتناثرها في بطون المصادر؛ وهو ما تطلب من الباحث جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلًا لجمع المادة العلمية وفحصها وتحليلها وتبويبها.

خطة الدراسة:

أملت طبيعة الدراسة وأهدافها إلى تقسيمها إلى ثلاثة مباحث، تسبقها مقدمة، وتُعقبها خاتمة بأهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وذلك على النحو الآتي:

- المقدمة: فيها بيان بموضوع الدراسة، وأهميتها، وسبب اختيارها، ومنهجها، وصعوباتها، وإطارها، ومصادرها، والدراسات السابقة لها.
- المبحث الأول: يشتمل على تعريف بالبريد، وأصله، وتاريخه، وعمّاله، ودوابه، وطرقه وسككه.
- المبحث الثاني: فيه حديث عن أوضاع البريد عند العرب في جاهليتهم، وفي زمن صدر الإسلام.
- المبحث الثالث: فيه حديث عن الإضافات التي أدخلها الخليفة الوليد بن عبد الملك على البريد واستعمالاته.
- الخاتمة: وفيها أبرز النتائج التي انتهت إليها الدراسة.

الدراسات السابقة:

- سبق أن تقدمت الإشارة إلى أن الدراسات التي تناولت نظام البريد في العصور الإسلامية يغلب عليها النقص، وهذه طائفة بأبرز الدراسات التي كُتبت في هذا السياق، مرتبة من الأقدم إلى الأحدث:
- دراسة محمد بو حليقة (2017م)، بعنوان "نظام البريد وتطوره في الدولة الإسلامية": استعرض الباحث أحوال البريد قبل الإسلام، وما كان عليه في صدر الإسلام، وأحواله عند العباسيين وعند بعض الدول والإمارات التي انشقت عن الخلافة، فضلاً عن أهداف نظام البريد، ووسائله.
 - دراسة وصال إسماعيل (2017م)، بعنوان "البريد في الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول (132 – 232هـ)": مهّدت الباحثة للحديث عن البريد في العصر العباسي بلمحات من أحواله في صدر الإسلام، ثم تعرّضت لديوان البريد في العصر العباسي الأول، وعرّفت بعمّال البريد، وطرقه وسككه عند العباسيين، وكشفت عن عناية خلفاء بني العباس بالبريد والتدقيق في اختيار العاملين فيه.
 - دراسة حمزة البكوش (2017م)، بعنوان "نشأة البريد وتطوره في الدولة الإسلامية خلال القرن الأول الهجري": كما يتبين من عنوانها، فقد تناولت هذه الدراسة واقع البريد في زمن صدر الإسلام، واشتملت على كثير من المعلومات التي لم أرَ مثلها في الدراسات الأخر التي وقف عليها الباحث.
 - دراسة سعيد المغاوري وآخرين (2022م)، بعنوان "دواب البريد في ضوء بعض نصوص البرديات العربية": وجّهت هذه الدراسة عنايتها للحديث عن أنواع الدواب المستعملة في حمل البريد وصفاتها، كالجمال، والخيول، والبغال، إضافة إلى استعراض بعض ما تبقى من البرديات التي ترجع إلى القرن الأول حتى القرن الرابع للهجرة والتعليق عليها.
- كما يتبين لك من استعراضنا لتلك الدراسات السابقة، فإن دراستنا الحالية تتقاطع مع ما سبق في المبحثين الأول والثاني، إلا أن ما يميّزها عن تلك الأعمال أنها خصّصت مبحثاً مستقلاً للإضافات التي أدخلها الخليفة الوليد بن عبد الملك لنظام البريد في عهده، فضلاً عن استعراض أوجه استعمالاته.

مصادر الدراسة:

اقتضت تقسيمات الدراسة، وتنوع جوانبها، أن يرجع الباحث إلى مجموعة كبيرة من المصادر المتعددة والمتنوعة المشارب، إضافة إلى بعض المراجع المعاصرة. فمن المصادر التي احتاج الباحث إليها واستفاد منها كتب الإدارة ورسوم الملك، مثل: (الخرج وصناعة الكتابة) لقدامة بن جعفر، و(التعريف بالمصطلح الشريف) لابن فضل الله العمري، و(صبح الأعشى) للقلقشندي. ولا غنى لمثل هذه الدراسة عن كتب التاريخ العام، ويأتي في مقدمتها: (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، و(الكامل في التاريخ) لابن الأثير، إضافة إلى كتاب (العيون والحدائق) لمجهول؛ إذ غدّى الدراسة في مبحثها الثالث ببعض المعلومات.

واحتاجت الدراسة - للتعريف ببعض المصطلحات الخاصة بالبريد - إلى الاستعانة ببعض المصادر، وأهمها: (النهاية في غريب الحديث والأثر) لأبي السعادات بن الأثير، و(لسان العرب) لابن منظور. وللتعريف ببعض الأعلام في حواشي الدراسة؛ فقد استندت الدراسة إلى عدد من كتب التراجم، وعلى رأسها: (الوفاي بالوفيات) للصفدي، ثم (أسد الغابة) لابن الأثير. وكان على كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي الاعتماد في التعريف بالأماكن الجغرافية.

وأما بالنسبة إلى المراجع الحديثة التي خدمت الدراسة، فإن الباحث قد استفاد أيما استفادة من كتاب (نظام البريد في الدولة الإسلامية) لنظير سعداوي، وبخاصة في المبحث الأول؛ وهو ما يجعل كتابه مصدرًا أكثر من كونه مجرد مرجع معاصر.

المبحث الأول – نظرة عامة على البريد:

يُسلط هذا المبحث في أوله الضوء على معنى البريد، ثم نتبّع فيه الأصل التاريخي لهذه الكلمة، ثم تُلحقه بالوقوف على نشأته عند الأمم الغابرة. ولا يفوتنا التعريف بوظائف العاملين في هذا الميدان، ولا بأس من ذكر أنواع ومزايا الدواب المستعملة في حمل الرسائل ونقل الأخبار، ثم يُختتم المبحث بكلام موجز عن طرق البريد وسككه.

المطلب الأول - تعريف البريد:

1. لغةً:

البريد، وجمعها: بُرد، - في أرجح الأقوال - كلمة فارسية، وأصلها بريده دم، أي: مقصوص أو محذوف الذنب، ثم عُربت الكلمة وحُقفت، كما سيأتي معنا في المطلب الثاني من هذا المبحث.

2. اصطلاحاً:

البريد هو الرسول على دواب البريد، ويُقال: برد بريداً، أي: أرسله، ومنه قول بعض العرب: "الحُمى بريد الموت"، أي: رسول الموت تُنذر به. والبريد أيضاً هو المسافة ما بين كل سكتين أو محطتين لعمال البريد، وهي فرسخان، وكل فرسخ ثلاثة أميال، وقيل: بل أربعة فراسخ، وهو اثنا عشر ميلاً، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي، والذراع أربعة وعشرون أصبعاً، والأصبع ست شعيرات ظهر واحدة إلى بطن الأخرى، والشعيرة سبع شعرات من ذنب بغل أو برذون⁽¹⁾. وفي الحديث النبوي: "لا تُقصر الصلاة في أقل من أربعة بُرد"، وهي ستة عشر فرسخاً. ويُقال لدابة البريد: بريداً لسيره في البريد، وفي هذا يقول الشاعر:

إني أنص العيس حتى كأني علمها بأجواز الفلاة بريداً

محصل القول هنا: البريد كان يُطلق في الأصل على الدابة المرتبة في الرباط، ثم سُمِّيَ به الرسول المحمول عليها، ثم سُمِّيَت به المسافة⁽²⁾.

المطلب الثاني - أصل كلمة البريد:

اختلف المؤرخون في أصل كلمة البريد؛ فمنهم من قال بأنها كلمة عربية، ومنهم من قال بأنها كلمة فارسية. ولقد لخص لنا القلقشندي ما قيل في أصل البريد، فقال: "اختلف فيه فقيل: إنه عربي. وعلى هذا ذهب الخليل إلى أنه مشتق من بردت الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه، وقيل: من أبردته إذا أرسلته، وقيل: من برد إذا ثبت؛ لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار، يقال: اليوم يوم بارد سموم، أي: ثابت. وذهب آخرون إلى أنه فارسي معرب، قال أبو السعادات ابن الأثير في كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر): وأصله بالفارسية "بريده دم"، ومعناه مقصوص الذنب؛ وذلك أن ملوك الفرس كانت من عادتهم أنهم إذا أقاموا بغلا في البريد قصّوا ذنبه؛ ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد⁽³⁾".

إضافة إلى ما تقدم، فإن هناك من يزعم أن البريد مأخوذ من لفظة لاتينية Veredus، وهي تعني الدابة التي يركبها الرجل لتوصيل الرسائل من مكان إلى آخر، ثم أُستعملت الكلمة للإشارة إلى المسافة التي يقطعها حامل الرسائل⁽⁴⁾. ونقل الدكتور نظير سعداوي عن صاحب (الطائر الغريد) أن كلمة البريد ربما كانت مشتقة من البردي، وهو ورق كان يستعمله قدماء المصريين، ومن ثم حُرِّفَت إلى بريدي، ثم أُختصرت مع الوقت إلى بريد. ولا يجد سعداوي في هذا الرأي ما يدعو لقبوله؛ لأن مجرد تصديقه سيحملنا على الظن بأن العرب لم يعرفوا في ماضيهم البريد إلا بعد أن منَّ الله عليهم فتح مصر، فعرفوا من أهلها ورق البردي⁽⁵⁾.

تلك كانت خلاصة كل ما قيل في أصل البريد، والرأي الراجح عندي أن أصل الكلمة فارسي لا عربي؛ لسببين اثنين: أولهما: أن ما قيل في اشتقاق البريد من برد الحديد وغير ذلك من التفسيرات لا يخلو - بحسب ما يبدو للباحث - من تكلف زائد وتحريف للكلم عن موضعه. وثانيهما: أن كثيراً من المصطلحات التي جرى استعمالها في البريد عند المسلمين - سيأتي ذكر بعضها في حينه إن شاء الله - هي فارسية الأصل ولا تقرب إلى العربية بأي صلة⁽⁶⁾.

(1) البرذون: والأثني يُقال لها: برذونه، والجمع براذين، وهي دابة دون الفرس، غليظة الأعضاء، ضخمة، تُتخذ للحمل خصوصاً. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب (القاهرة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ت)، 16: 52؛ مسعود، جبران، معجم الرائد، ط 7 (بيروت: دار العلم للملايين، 1992م)، 169.

(1) الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت 387هـ/997م)، مفاتيح العلوم، راجعه وعلّق على حواشيه: محمد كمال الدين الأدهمي (القاهرة: مطبعة عثمان خليل، 1349هـ/1930م)، 41؛ الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت بعد 666هـ/1268م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط 5 (صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ/1999م)، 32؛ ابن منظور، لسان العرب، 4: 53؛ ابن فضل الله العُمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله بن يحيى (ت 749هـ/1349م)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: سمير الدروي (الكرك: جامعة مؤتة، 1413هـ/1992م)، 265؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم التريزي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000م)، 7: 417 - 418؛ الكتاني، محمد عبدالحى الإدريسي الحسني الفاسي، نظام الحكومة النبوية المسماة التراتيب الإدارية، تحقيق: عبدالله الخالدي (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت)، 1: 179.

(2) القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1340هـ/1922م)، 14: 367.

(3) سعداوي، نظير حسان، نظام البريد في الدولة الإسلامية (القاهرة: دار مصر للطباعة، 1372هـ/1953م)، 19.

(1) أنطون، نعمان أفندي، الطائر الغريد في وصف البريد (القاهرة: مطبعة المقتطف، 1890م)، 5. نقلاً عن: سعداوي، نظام البريد، 20.
(2) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، 41. وللمزيد، انظر مثلاً: ماز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريده، ط 5 (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، 2: 410.

المطلب الثالث - البريد عند الأمم القديمة:

لا أحد يعرف على وجه اليقين متى كانت نشأة البريد؛ وعلى ما يبدو لي، فإن نشأته كانت مرتبطة بحاجة الدول إلى الاتصال بغيرها من الممالك؛ طلباً للسلام أو إيداناً بالحرب؛ إذ كان الملك أو الأمير يبعث بسفرائه - الذين كانوا في الواقع سعاة البريد - إلى غيره من الحكام؛ لمصادقتهم، أو تهديدهم، أو لأي سبب من الأسباب. ولا تقتصر أهمية البريد عند الحاجة إلى مراسلة حكام الدول الأخر فقط، بل كان يجري استخدامه بين الملك وعماله على الولايات والمدن بصفة مستمرة، فهذا جيمس برستيد يصف لنا المكاتبات التي كانت تجري بين الملك البابلي الشهير حمورابي⁽⁷⁾ وولاته على المدن الخاضعة لمملكة بابل، فيقول: "وأخذ الملك يملئ عليه [كاتم السر] ما يريد من رسائل في جمل مقتضبة واضحة المعاني تحمل أوامره إلى وولاته... ويكتب بعد ذلك كاتم السر عنوان المرسل إليه، ثم يبعث بالرقيم ليُوضع في القرن. ويأتي الرسل إلى الملك بخطابات مماثلة، يفتحها كاتم السر الذي يتق به سيده، فيكسر الأغلفة أمام الملك، ويقراً بصوت مرتفع ما يبعث به موظفوه من جميع أنحاء المملكة."⁽⁸⁾

وما قيل عن البريد في بابل، سُيقل عن البريد في سائر حضارات الشرق الأدنى وغيرها من الحضارات⁽⁹⁾. ولعل القارئ قد تفتن إلى أن النشاط البريدي حينذاك كان مقصوراً على خدمة الحكومات لا الأفراد، وهي السنّة التي سارت عليها الدول أزمنة طويلة بما فيها دولة الإسلام، كما سيتبين معنا في حينه إن شاء الله تعالى.

وما دمنا بصدد الحضارات التي عرفت استعمال البريد، فلنشرع بالحديث عن مصر الفرعونية؛ إذ كان الملك بحاجة إلى التواصل مع عماله في الأقاليم المصرية وفي البلاد التي دانت له بالطاعة، وما كان الملك بقادر على الوقوف على أحوال مملكته، ومراقبة سلوك عماله، وتبليغهم بأوامره ونواهيه إلا بواسطة البريد. ومن طريف ما يُذكر أنه عُثِر على وصية ترجع إلى عهد الأسرة الثانية عشرة لكاتب يُزَيْن لولده احترام مهنة الكتابة لما ينتظره بعدها من مستقبل باهر، ويُشَيّن له العمل ببعض الحرف ومنها مهنة عامل البريد، وهاك ما قال: "أما ساعي البريد فيحمل أثقالاً فادحة، ويكتب وصيته قبل أن ينطلق في مهمته؛ توقعاً لما قد يصيبه من الوحوش والأسويين"⁽¹⁰⁾. يتضح من هذه الكلمات القليلة أن حال ساعي البريد في العصر الفرعوني كان رديئاً، وأن عمله كان خطيراً؛ لعدم وجود الطرق السابلة، وافتقادها إلى وسائل الراحة التي كان يحظى بها قرينه عند الفرس أو الرومان⁽¹¹⁾.

واعتنى الرومان بالبريد؛ لأهميته السياسية والعسكرية، وبخاصة أنهم حكموا إمبراطورية واسعة الأكناف ومترامية الأطراف. ولم يكتفِ الرومان باستعمال البريد لنقل الكتب بين روما والولايات التابعة لها، بل استعملوه حتى في نقل الأطعمة النادرة من كل الأفاق إلى مقر عزهم وكرسي ملكهم في روما، ولا ننسى جهود عمال البريد في التجسس على حكام الأقاليم، ورصد حركات العامة، ونقل الأخبار على وجه السرعة إلى الإمبراطور الروماني قبل استفحال الأمر⁽¹²⁾. وكان من عادة عمال البريد أن يحملوا أجراساً أو نواقيساً يقرعونها من وقت إلى آخر، وينفخ بعضهم في الصور؛ ليعلم الناس بمرور البريد⁽¹³⁾.

وأما الفرس فقطعوا أذنان دواب البريد؛ تمييزاً لها عن سائر الدواب، وسمّوها "بريده دم"، أي: مقصوص الذنب، ثم لما عُرِبَت حُذِفَ منها الجزء الأخير وحُرِّفَت بريدة إلى بريد، كما تقدم سلفاً. وكان من علامات عناية الفرس بالبريد أن أفردوا له ديواناً؛ ليضمنوا دوام وسرعة وصول كتب الولاية إلى مقر الحكومة المركزية، كما نستنتج مما جاء عند ابن الوردي: "وكان لكسرى خواتيم أربعة: خاتم للخراج، فصبه ياقوت أحمر يتقد كالنار، نقشه: العدل للعدل. وخاتم للضبياع، فصبه فيزوزج، نقشه: العمارة العمارة. وخاتم للضرب والعقوبة، فصبه من زمرد،

(3) حمورابي: سادس ملوك دولة بابل بالعراق، وأعظم ملوكها بلا مدافعة، وأبعدهم صبيئاً، حكم أكثر من أربعين عاماً من 1728 إلى 1686 ق.م، وتمكن من كسر أعدائه من العيلاميين، ومدّ رقعة مملكته شمالاً إلى أعالي نهر دجلة وجنوباً إلى الخليج العربي. واشتهر حمورابي بقوانينه التي ضبط بها الشؤون الاجتماعية والاقتصادية في بلاده، وهي من أقدم القوانين التي عرفتها البشرية. عصفور، محمد أبو المحاسن، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم: من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر (القاهرة: دار المصري، 1968م)، 369 - 371.

(4) برستيد، جيمس هنري، انتصار الحضارة: تاريخ الشرق القديم، ترجمة: أحمد فخري (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011م)، 188.

(1) الداوق، حسين علي، "نظام البريد في الحضارة العربية"، مجلة المورد، بغداد، مج. 18، ع. 1 (فبراير، 1989م)، 85.

(2) مصلحة البريد، تاريخ البريد في مصر (القاهرة: المطبعة الأميرية، 1934م)، 19 - 20.

(3) سعداوي، نظام البريد، 26.

(4) سعداوي، نظام البريد، 33.

(5) سعداوي، نظام البريد، 33.

نقشه: التآني التآني. وخاتم للبرد والرسل، فصبه درة بيضاء، نقشه: العجل العجل⁽¹⁴⁾. ومما يدل على أن البريد كان ولاية جلييلة خطيرة عندهم، أن الأكاسرة كانوا لا يسندون أمر البريد إلا لأولادهم؛ ليضمنوا وصول الكتب في الوقت المناسب⁽¹⁵⁾.

المطلب الرابع - عمال البريد:

خصّص المسلمون للبريد - كما سيأتي معنا في المبحث الثاني - ديواناً⁽¹⁶⁾ مستقلاً، مثله كمثل الخراج، والجند، والرسائل، والخاتم، وغير ذلك من الدواوين. ويُشرف على الديوان رجل عُرف بلقب "صاحب البريد"، ومحل إقامته في العاصمة⁽¹⁷⁾، وهو الذي يتولى تنفيذ ما يصدر عن الخليفة، أو من هو في مقامه إلى عماله في جميع النواحي، ويتلقى منهم ما يرد إلى دار الخلافة، ويعرض خلاصته على الخليفة، وإليه النظر في أمور العاملين ومراقبتهم ودفع معاشاتهم⁽¹⁸⁾. وصاحب البريد هو بمنزلة العين التي يرى بها الخليفة، والأذن التي يسمع بها، ولا ينبغي أن يكون بينه وبين الخليفة حجاب؛ لأن ذلك يوقف كثيراً من الأحوال، فإذا جاء صاحب البريد بخبر فلا أحد يطلع عليه قبل أن ينبيه إلى الخليفة، فيأمره إما أن يشيعه وإما أن يكتمه على ما يراه الخليفة نفسه⁽¹⁹⁾.

صفات صاحب البريد

ولخصّ ابن قدامة صفات صاحب البريد بقوله: "أن يكون ثقة، إما في نفسه، أو عند الخليفة القائم بالأمر في وقته: لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح، وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ والرسوم التي يحتاج إليها من أمر الديوان⁽²⁰⁾". ومثلما يُنتظر من صاحب البريد ومن معه أن يتصفوا بالثقة، والعقل، والأمانة، والصدق، ولطف التوصل، والسرعة في نقل الأخبار ومتجددات الأحوال، وحفظ الطريق وصيانتها من القطاع والسراق، فإنه يجب أن تُجرى عليهم النفقات، ويُوسع عليهم في الأعطيات، وأن يُوفر لهم ما يحتاجون إليه من الأتباع والأعوان والدواب⁽²¹⁾.

ويتبع صاحب البريد عمال يُعينونه على تصريف شؤون البريد، وفيما يلي وصف مختصر لبعض الوظائف:

- عمال البريد في الولايات: لكل صاحب بريد وكلاء يمثلونه في كل ولاية، ويتولى تصريف شؤون البريد في أمكانهم، وتحت هؤلاء العمال موظفون يأترون بأوامرهم، ويلزم عامل البريد أن يُوافي صاحب البريد بكل ما يقع في ولايته من الأمور خيرها وشرها، ولهذا العامل الحق في التجسس على الولاة وموظفي الدولة كافة⁽²²⁾.
- المرتبون: وهم الرسل الذين يحملون الرسائل في حقائق خاصة من سكة إلى أخرى، والسكة بمعنى المحطة⁽²³⁾.
- الموقعون: يقع عليهم مسؤولية تثبيت أوقات انطلاق البريد، ووصوله إلى الجهة المراد بلوغها؛ حتى لا يتأخر أحد من المرتبين عن الوقت المقرر⁽²⁴⁾.

(1) ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي (ت نحو 861هـ/1457م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي (القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية، 1428هـ/2008م)، 383.

(2) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2012م)، 1: 243.

(3) قال ابن خلدون في تعريفه للديوان: "اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات، وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أوزانهم وصرف أعطياتهم في إباناتها، والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومة تلك الأعمال وقهارمة الدولة، وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الداخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال، ويُسمى ذلك الكتاب بالديوان". ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به وراجعته: درويش الجويدي (صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1434هـ/2013م)، 1: 136.

(4) عيسى، هيام، "البريد في العصور الإسلامية: نشأته، تطوره، أغراضه"، (رسالة دبلوم، الجامعة اللبنانية، 1413هـ/1992م)، 70.

(5) قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي (ت 337هـ/948ك)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي (بغداد: دار الرشيد، 1981م)، 77.

(1) العباسي، الحسن بن عبدالله (ت 710هـ/1310م)، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق: عبدالرحمن عميرة (بيروت: دار الجيل، 1409هـ/1989م)، 180.

(2) قدامة، الخراج، 77.

(3) العباسي، آثار الأول، 177، 180.

(4) سعداوي، نظام البريد، 71.

(5) قدامة، الخراج، 52، سعداوي، نظام البريد، 69 - 70.

(1) قدامة، الخراج، 52.

- الفروانقيون: ومفردتها: فُرانِق، وهي كلمة فارسية، ومعناها المُتَنذِر أو الدليل، وهو أشبه بالمفتش، ويتولى مراقبة سير المرتبين أو السعاة وحالة السكك، ويُرسَل تقريرًا بذلك إلى صاحب البريد⁽²⁵⁾.
- الكوهبانية: لفظة فارسية معرّبة، وتعني الرجال الذين يتسقطون أخبار العدو، ويتجسسون عليه وقت الحرب⁽²⁶⁾.
- الفيوج: لفظة فارسية أيضًا، ومفردتها فيج، ويُقال لهم: السعاة؛ لأنهم يُكَلَّفون بحمل الرسائل جريًا على الأقدام، ويمتاز هؤلاء السعاة بالخفة والقوة⁽²⁷⁾.

المطلب الخامس - دواب البريد:

كانت الخيول والبغال والجمال الوسائل المتعارف عليها والأكثر شيوعًا في نظام البريد، فالرومان كانوا يستعملون الخيول في نقل البريد، وأما الفرس فسَخَّروا الخيول والبغال لهذا الغرض، وزاد المسلمون على غيرهم من الأمم، فأضافوا الجمال إلى الخيول والبغال في مراسلاتهم⁽²⁸⁾. ونقل صاحب التراتيب الإدارية عن أحدهم قوله: " بأن العرب ركبو الإبل في أول الأمر، ثم استبدلوا بالبغال، ثم بالخيول لسرعتها، وهذا قول مجاف للحقيقة التاريخية؛ فالعرب جمعوا كل تلك الأنواع من الدواب في الوقت نفسه دون تمييز، كما سيتبين معنا. ولم تكن دواب البريد لتقطع المسافة كاملة، بل كان الرسول إذا وصل إلى أقرب سكة أو محطة نزل عن دابته، وركب غيره دابة أخرى مستريحة، وكذلك يفعل في السكة الأخرى حتى يصل بسرعة⁽²⁹⁾.

وربما استغرب القارئ الكريم استعمال البغال والجمال في البريد؛ ظنًا أنها أبطأ سرعة من الخيل، وهذا غير صحيح؛ فالبغال تجمع بين صبر الحمير وقوة الخيول، وتُكَلَّف بالأعمال الجسام التي لا تطيق الحمير ولا الخيول القيام بها؛ ولذا فقد استعملها المسلمون وغيرهم من الأمم لسرعة عدوها، وتحملها للأثقال، وصبرها على طول الإيغال⁽³⁰⁾، حتى إن الأديب المشهور الجاحظ أفرد لها كتابًا لطيفًا سماه (القول في البغال)، أفاض فيه الحديث عن استعمالها في البريد، وحب الأشراف لركوبها، وأخلاقها، وصفاتها، ومنافعها، وما قيل في مدحها وذمها من أشعار، وغير ذلك من طرائف الأخبار.

وأما الجمال، فمهما نوع يُقال له الجمّازات، ومفردتها جمّاز للذكر، وجمّازة للأنثى، وهي موصوفة بسرعة العدو⁽³¹⁾، وهذا النوع من الجمال أسرع من الخيل، وأصبر على السير. ولقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى استخدامها في الحروب ونقل الأخبار، ففي كتاب (صلة تاريخ الطبري) لعريب القرطبي أن الجمّازات كانت تُسَبَّر كل يوم من مصر إلى بغداد؛ حاملّة معها أخبار المعارك التي دار رحاها بين الجيش العباسي والجيش العبيدي (الفاطمي) سنة 302هـ/915م، والتي تمكن فيها العباسيون من دحر العبيديين وردهم على أعقابهم خاسرين⁽³²⁾.

المطلب السادس - طرق البريد وسككه:

أفضت الحاجة إلى تواصل الأمم بعضها ببعض، وتسهيل انتقال السلع التجارية من مكان إلى آخر، وتمكين رجال البريد من توصيل رسائلهم ونقل أخبارهم، إلى العناية بتمهيد الطرق وإصلاحها. ويُعد الرومان في طليعة أمم الأرض التي أولت الطرق وافر اهتمامها؛ لربط أطراف إمبراطوريتها المتباعدة الأركان بمركزها في روما⁽³³⁾. ولما قامت دولة الإسلام؛ وجّه الخلفاء والملوك عنايتهم إلى طرق المواصلات البرية والبحرية؛ لدواع سياسية وأمنية واقتصادية وثقافية لا تخفى على أحد. ومما يُدلّك على مبلغ عناية المسلمين بالطرق ما تركه لنا البلدانيون، كابن خردادبه، والإصطخري، وابن حوقل، والمقدسي من مُصنّفات تصف شبكة المواصلات المعقدة التي تربط أقاليم بلاد الإسلام ومدنه، وتذكر لنا بدقة مقدار المسافة بين كل مدينة وأخرى.

- (2) سعداوي، نظام البريد، 70.
- (3) ابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق (بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م)، 6: 25.
- (4) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت 606هـ/1210م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي (القاهرة: المكتبة الإسلامية، د. ت)، 3: 483؛ الفلقشندي، صبح الأعشى، 5: 98.
- (5) سعداوي، نظام البريد، 79.
- (6) ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (بيروت: دار صادر، د. ت)، 106.
- (1) الديميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (ت 808هـ/1405م)، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي (صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1435هـ/2014م)، 1: 179 – 180.
- (2) دوزي، رنجات، تكلمة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي (بغداد: دار الرشيد، 1980م)، 2: 270.
- (3) القرطبي، عريب بن سعيد (ت نحو 369هـ/980م)، صلة تاريخ الطبري (ليدن، مطبعة بريل، 1897م)، 52.
- (4) سعداوي، نظام البريد، 84 – 87.

وأما إذا تطرقنا إلى سكك البريد، أو محطاته، فقد بلغ عددها خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي تسعمائة وثلاثون سكة، كما أخبرنا بذلك ابن خرداذبه في كتابه (المسالك والممالك)⁽³⁴⁾، وليس لدينا إحصائية بعددها في زمن خلافة الوليد بن عبد الملك، إلا أن الباحث يميل إلى أنها كانت أقل مما جاء عند صاحب (المسالك والممالك). ولا تخلو السكك من وجود رجال يقيمون فيها، واصطبلات تُوضع فيها الدواب، ولا شك أن هذه السكك فيها كل ما يلزم الرجال والدواب من الطعام والمياه وكل ما هو ضروري؛ لضمان بقائهم والقيام بأعمالهم.

المبحث الثاني – البريد في صدر الإسلام:

قبل أن نشعر في الحديث عن البريد في صدر الإسلام، أرى أن تلقي بعض الضوء على البريد عند العرب قبل أن يظهر فيهم دين الإسلام. عموماً، لا يوجد لدينا تاريخ مكتوب عن العرب في جاهليتهم حتى نبحت فيه عما يتصل بالبريد؛ ولكن لحسن الحظ فإن لدينا بعض القصص والأشعار التي تشير إلى معرفة أولئك الناس بالبريد، وكما قالوا: الشعر ديوان العرب. فهذا لقيط بن يعمر الأيادي⁽³⁵⁾ كان يعمل كاتباً في بلاط كسرى، ولما علم أن الفرس يهيمون لغزو قومه، هاجت في نفسه النخوة العربية، فأرسل مع أحدهم أبيات شعر يُنذرهم قبل أن يدهمهم كسرى بجنوده:

يا أيها الراكب المُزجي على عجل نحو الجزيرة مرتاداً ومُنْتَجِئاً

أبلغ إياداً وخلص في سراتهم إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعاً⁽³⁶⁾

وأرسل طرفة بن العبد⁽³⁷⁾ قصيدة إلى أخيه خالد يودعه فيها لما سار إلى عامل البحرين بكتاب من ملك الحيرة عمرو بن هند (554 –

574م)⁽³⁸⁾ يأمر فيها عامله على البحرين بقتل طرفة، وهذا طرف منها:

ألا أيها الغادي تحمل رسالة إلى خالد مني وإن كان نائياً

وصية من يُهدي السلام تحية ويُخبر أهل الود أن لا تلاقيا⁽³⁹⁾

وهناك بيت مشهور للشاعر امرئ القيس⁽⁴⁰⁾ يؤكد لنا معرفة عرب ما قبل الإسلام بكلمة البريد من جهة، ومعرفتهم بأن الدواب

المحذوفة الأذنان قد كُرسَتْ لحمل الرسائل من مكان إلى آخر:

(1) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيدالله بن عبيدالله (ت نحو 280هـ/893م)، المسالك والممالك (لیدن: مطبعة بريل، 1889م)، 153.

(2) لقيط بن يعمر الإيادي: اختلف المؤرخون في اسمه وحياته، والمعلومات عنه شحيحة للغاية، وهو شاعر جاهلي قديم مقل، وأغلب الظن أنه كان كاتباً أو مقيماً من أحد أكاسرة الفرس، ويُرجح أنه كان سابور الثالث (383 – 387م)، ثم سخط عليه لسبب نجهله، وحبسه. ولما علم لقيط أن سابور يُعد العدة ليضرب قبيلة إياد، أرسل إليهم قصيدة أن يتجهزوا للحرب، فوقع الكتاب بيد سابور فقطع لسان وقتله، وغزا إبادا. البرقوق، عبد الرحمن، الذخائر والعبقريات: معجم ثقافي جامع (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، 2: 222؛ عمارة، السيد احمد، دراسة في تصور العصر الجاهلي تحليل وتدقيق (بغداد: مكتبة المتنبي، د.ت)، 119؛ لقيط، يعمر الإيادي، ديوان لقيط بن يعمر الإيادي، تحقيق: محمد التونسي (بيروت: دار صادر، 1988م)، 76.

(1) لقيط، ديوان، 76.

(2) طرفة بن العبد: عمرو بن العبد بن سفيان، من بني بكر بن وائل، وطرفة اسم شهرة، وكانت قبيلته تنزل البحرين على الخليج العربي، والراجح أنه وُلد بعد حرب البسوس المعروفة بين بكر وتغلب. وطرفة هذا من أكبر شعراء الجاهلية وفرسانهم، وكان في حسب من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم، ومات قبل أن يبلغ الثلاثين من العمر، وقيل: كان عمره عشرين حين قُتل، قتله عمرو بن هند ملك الحيرة بين سنتي 554م و568م؛ بسبب أبيات شعر هجا فيها طرفة ابن هند. ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ/889م)، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط 2 (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، 185 – 197؛ طرفة، عمرو بن العبد بن سفيان (ت بعد 554م)، الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد: تحقيق ودراسة لشعره وشخصيته، تحقيق: علي الجندي (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، 8 – 20.

(3) عمرو بن هند: عمرو بن المنذر بن ماء السماء صاحب الحيرة، وكان يُلقب بمضطرط الحجارة لشدة ملكة وقوة سياسته، مع زهو وغطرسة، وأمه هند بنت الحارث بن عمرو، وهي عممة الشاعر امرئ القيس بن حجر بن الحارث. وعُرف عنه حبه للشعر والأدب، وكان مجلسه موئلاً للشعراء الذين تقاطروا عليه لإنشاده ونيل جوائزه. قلته عمرو بن كلثوم؛ لأنه ملك الحيرة أهان والده ابن كلثوم في قصة مشهورة لا سبيل إلى سردها. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1: 294؛ برو، توفيق، تاريخ العرب القديم، ط 2 (دمشق: دار الفكر، 1422هـ/2001م)، 133.

(4) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو 414هـ/1023م)، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي (بيروت: دار صادر، 1408هـ/1988م)، 1: 20.

(5) امرؤ القيس: بن حجر بن الحارث، من كندة، وأمه فاطمة بنت ربيعة التغلبية، وهي أخت كليب والمهلل، ويُلقب شاعرنا بـ"الملك الضليل"، و"ذي القروح"، وهو من نسل ملوك، ويغلب على أخباره الأساطير. طرده أبوه لشعر صنعه ابنه امرأة، ثم لم يلبث أن قُتل أبوه، فطلق يستجيش أحياء العرب؛ طلباً للنصر منهم على قتلة أبيه، فلم يظفر بباطل، فسار إلى القسطنطينية؛ ليطلب من الإمبراطور البيزنطي الوقوف معه حتى يثار لقتل أبيه حجر، فوقع في عشق ابنة الإمبراطور، فنقم منه بخلة مسمومة، وهي - على ما يبدو - قصة مكذوبة، ويرجح شوقي ضيف أن موته كان بين سنتي 530م و540م. ابن

المطلب الأول - البريد في عصر النبوة:

لا نجد في السيرة النبوية ما يُشير إلى استحداث النبي ﷺ (1 - 11هـ/622 - 632م) للبريد بتنظيماته ومسمياته التي نعرفها، إلا أن توجيه النبي ﷺ الكتب إلى القبائل وملوك زمانه بواسطة أصحابه تدل على أن البريد كان معمولاً منذ أن اتخذ المدينة المنورة - على ساكنها السلام - داراً لهجرته المباركة ومقرراً لدولة الإسلام.

ولعلنا لا نجافي الحقيقة في شيء إذا ما قلنا إن أول من نهض بمهام رجل البريد في الإسلام كان عبدالله بن أبي بكر ﷺ، حين كان رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق ﷺ في الغار، في طريقهما إلى المدينة من مكة، طلب إلى عبدالله - وكان غلاماً يرعى الغنم لأبيه - أن يأتيهما بالطعام وبأخبار قريش، فكان عبدالله يبيت عندهما، فيخرج عند السحر، فيصبح مع قريش فلا يسمع أمراً يُكادان به إلا أنهاه إليهما إذا اختلط الظلام⁽⁴²⁾.

ولم تقف وظيفة البريد في عهده ﷺ عند توصيل الكتب إلى شيوخ القبائل وحكام البلدان فحسب، بل شملت رصد الأخبار ونقلها إليه ﷺ، فهذا العباس بن عبدالمطلب ﷺ (عم النبي ﷺ) كان - كما يُقال - يكتنم إسلامه قبل فتح مكة، ويكتب إلى النبي ﷺ في المدينة أخبار قريش⁽⁴³⁾.

وكما كانت الغزوات في عهد النبي ﷺ سبباً للذود عن دعوة الإسلام، والدفاع عن المسلمين، فقد كانت الكتب التي بعث بها رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء والمشايخ في داخل الجزيرة وخارجها سبباً للتعريف بالإسلام، والدعوة إلى الدخول فيه. فمن المعروف أن النبي ﷺ وجّه في السنة السادسة من الهجرة رسوله إلى ثمانية من كبار حكام العصر، وعلى رأسهم قيصر الروم وكسرى الفرس ونجاشي الحبشة يدعوهم فيها إلى الإسلام⁽⁴⁴⁾. ودُكر أن النبي ﷺ لما همَّ بمكاتبة قيصر الروم، قال له أصحابه: "إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً"، فاتخذ خاتماً من فضة، ونقشه: محمد رسول الله⁽⁴⁵⁾.

ومما يُؤثر عنه ﷺ أنه قال: "إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البُزْدَ"⁽⁴⁶⁾. والمقصود بكلمة أخيس بالعهد، أي: لا أنكث العهد، وأما البُزْد، فهم الرسل الواردون عليه. وقال ﷺ: "إذا أبردت مني بريدًا فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم"⁽⁴⁷⁾. ولذا: فقد امتاز أصحابه الكرام ممن شرفهم رسول الله ﷺ بحمل كتبه بالعلم الواسع، والذكاء الخارق، والسمعة الطيبة، والمظهر اللائق، والرونق الشائق، والمنطق اللطيف، والبدئية الحاضرة، حتى يكون لكلامهم في النفس أجمل وقع، ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه⁽⁴⁸⁾.

المطلب الثاني - البريد في عصر الخلافة الراشدة:

احتاج أبو بكر الصديق ﷺ (11 - 13هـ/632 - 634م) إلى البريد في حروب الردة ومعارك الفتح في العراق والشام؛ فبعيد وفاة النبي ﷺ ارتدت أكثر العرب، وتضرمت الأرض نازاً، فبعث أمراء المسلمين إلى أبي بكر ﷺ الكتب يخبرونه بانتفاض القبائل⁽⁴⁹⁾، فكتب أبو بكر إلى تلك القبائل كتباً يدعوهم فيها إلى الرجوع إلى جادة الصواب، ويحذرهم من مغبة العصيان، وسيّر كتبه بواسطة البريد⁽⁵⁰⁾. وكان البريد طيلة مدة

قتيبة، الشعر والشعراء، 105 - 136: امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري المتوفي سنة 275هـ، تحقيق: أنور أبو سليمان ومحمد الشوابكة (العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، 1421هـ/2000م)، 1: 4 - 10.

(1) الأعلام الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن موسى الأندلسي (ت 476هـ/1084م)، أشعار الشعراء الستة الجاهليين (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 60: 1.

(2) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت 630هـ/1233م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت: دار ابن حزم، 1433هـ/2012م)، 696.

(3) ابن الأثير، أسد الغابة، 632.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2: 91 - 95.

(2) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 870هـ/256م)، صحيح البخاري (دمشق - بيروت: دار ابن كثير، 1423هـ/2002م)، كتاب: الأحكام، باب: الشهادة على الخط المختوم، حديث رقم (7162)، 1769.

(3) ابن الأثير، النهاية، 1: 115.

(4) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، ط 3 (بيروت: المكتب الإسلامي، 1408هـ/1988م)، حديث رقم (259)، 1: 110.

(5) الوكيل، مختار، سفراء النبي عليه السلام وكتابه ورسائله (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، 7.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2: 201.

(7) الفلقشندي، صبح الأعشى، 5: 385 - 386.

خلافته القصيرة لا يكاد ينقطع حبله بينه وبين أمراء جيوش المسلمين داخل الجزيرة وخارجها، يحمل إليهم أوامره، ويأتي إليه بأخبارهم⁽⁵¹⁾، فمن الأمثلة على ذلك: أنه جيء برأس أحد بطارقة⁽⁵²⁾ الروم إلى أبي بكر، فأنكر ذلك وقال لحامل البريد: "لا يُحمل إليّ رأس، فإنما يكفي الكتاب والخبر"⁽⁵³⁾.

واستمر البريد في نقل المكاتبات بين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13 - 23هـ/634 - 644م) وبين أمراء الجيوش، كما كانت عليه الحال في زمن سلفه أبي بكر، وزاد عمر رضي الله عنه على ذلك - كما أخبرنا صاحب (سراج الملوك) - بأن الرسول إذا قدم من بعض الثغور، تبعه عمر بنفسه إلى منازل نساء المدينة بكتب أزواجهن، ويقول: "أزواجكن في سبيل الله وأنتن في بلدة رسول الله، إن كان عندكن من يقرأ وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكن، ثم يقول: الرسول يخرج يوم كذا وكذا، فاكتبن حتى نبعث بكتبكن"، ثم يدور علمن بالقرطيس والدواة ويقول: "هذه دواة وقرطاس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكن"، ويمر بالمغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهن⁽⁵⁴⁾. وهذا الخبر - كما ترى - يُصوّر لنا تطوراً في وظيفة البريد لم نعهدها قبل ذلك. ولا عجب في ذلك؛ لأن عهد الفاروق رضي الله عنه شهد استحداث بعض النظم التي لم يعرفها المسلمون من قبل، مثل: بيت المال، وديوان العطاء، وغير ذلك.

وهناك خبر يشير إلى نقلة نوعية في نظام البريد خلال سني خلافة عمر رضي الله عنه، ففي خبر عثرت عليه في (فتح الباري)، مفاده أن المسلمين اتخذوا داراً للبريد في مدينة الكوفة، فكانت الرسل تنزل فيه إذا حضرت من دار الخلافة بالمدينة إلى أمراء الكوفة⁽⁵⁵⁾. ومع أننا لا نملك دليلاً على ما سنقول، إلا إننا نعتقد أنه كان للبريد في مدن الإسلام الكبرى دار ينزلها عماله.

وكان عامل البريد إذا همّ بالرجوع إلى المدينة نادى في الناس بأن يدفعوا إليه كتبهم حتى يحملها إلى الخليفة، ولا يحق لأمرهم، ولا لعامل البريد نفسه أن يعرف فحواها، فإذا وصل العامل إلى المدينة، نثر الكتب بين يدي عمر؛ ليقرأها ويرى ما فيها⁽⁵⁶⁾.

وكان عمر رضي الله عنه يعلم علم اليقين أن صلاح الرعية من صلاح ولاة أمورهم، وأن الإمارة فتنة للرجال، لا يُعصمون منها إلا برادع قوي، إما داخلي يمثله الضمير، وإما خارجي يمثله الخوف من العقوبة. ولم يكن عمر رضي الله عنه - وهو الخير بطبائع الناس - ليكلّ عماله إلى ضمائرهم وحدها؛ لذا فقد فرض عليهم رقابة صارمة، ووضع عليهم عقوبة رادعة. ومن الأساليب التي استعملها مع عماله أنه كان يتسقط أخبارهم خفية بواسطة رقبائه وعيونه؛ للوقوف على مدى قيامهم بواجباتهم والتزامهم بمسؤولياتهم، ثم يأتونه بالأخبار عبر البريد. ومن الأمثلة على ذلك: أن البريد نقل إلى عمر رضي الله عنه أن خالد بن الوليد رضي الله عنه أجاز الأشعث بن قيس الكندي⁽⁵⁷⁾ بعشرة آلاف، فأمر عمر رضي الله عنه عامله على الشام وقتها أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه أن يقيم خالداً أمام الناس في المسجد، ويكشف عمامته، وينزع عنه قلنسوته، ويقيد به بعمامته، ويسأله عن هذه العشرة الآلاف، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة، ثم عزله عن قيادة الجيش⁽⁵⁸⁾.

وواصل البريد تطوره في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23 - 35هـ/644 - 656م)، فإلى جانب استمراره في أداء وظائفه التقليدية، فقد أخذ للكتب التي يحملها البريد إلى الخليفة بيتاً مُلصقاً بدار عثمان رضي الله عنه أطلق عليه "بيت القرطيس"⁽⁵⁹⁾، وهو ما قد يعبر عن كثرة رسائل

(8) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2: 234 وما بعدها.

(1) البطارقة، ومفردتها بطريق؛ وتعني هنا قائد من قواد الروم. نخبة من اللغويين، المعجم الوسيط، ط 2 (القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1392هـ/1972م)، 61.

(2) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 911هـ/1505م)، جمع الجوامع، المعروف بالجامع الكبير، تحقيق: مختار الهانج وآخرين، ط 2 (القاهرة: الأزهر الشريف، 1426هـ/2005م)، 14: 222.

(3) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد (ت 520هـ/1126م)، سراج الملوك (القاهرة: دن، 1289هـ/1872م)، 134.

(4) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852هـ/1449م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب (القاهرة: المكتبة السلفية، 1390هـ)، 1: 336.

(1) الصلابي، علي محمد، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: شخصيته وعصره (القاهرة: مؤسسة اقرأ، 1426هـ/2005م)، 331.

(2) الأشعث بن قيس الكندي: أبو محمد، من ملوك كندة، وهو صاحب مرياح حضرموت. وفد إلى المدينة سنة 10هـ/631م في ستين من قومه، فأسلموا، ثم عاد إلى اليمن، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد، ثم أسره المسلمون، فجيء به إلى أبي بكر، فأطلقه، وزوجه أخته أم فروة. وشهد الأشعث اليرموك، والقادسية، وجولاء ونهاوند، وغيرها من المعارك. وسكن الكوفة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان ممن ألزم علياً بالتحكيم، وزوج ابنته جعدة الحسن بن علي، ويقال: هي من ستمته. وكانت وفاته في سنة 41هـ/661م، أو نحوها، وله حين مات ثلاث وستون سنة. ابن الأثير، أسد الغابة، 53؛ ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1449م)، الإصابة في تمييز الصحابة (صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1433هـ/2012م)، 70. مصدر آخر

(3) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/1373م)، البداية والنهاية، اعتنى به: حسّان عبدالمنان (عمّان - الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2004م)، 1064.

(4) الكرمي، حافظ أحمد، الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم: دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى، ط 2 (القاهرة: دار السلام، 1428هـ/2007م)، 136.

البريد الواردة إلى المدينة من مختلف الأمصار الإسلامية. وهناك إشارة نجدها في كتاب (الوزراء والكتّاب) للجيشياري إلى استعمال قصب من الرصاص، أي: أنابيب مُجوفة، تُوضع فيه الرسائل مختومة⁽⁶⁰⁾.

وأما في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام (35 - 40هـ/656 - 661م)، فلا نملك فيما بين أيدينا من المصادر ما يشير إلى أي تطور في خدمات البريد من عدمه، ولعل ما طبع أيامه عليه السلام من اضطراب نار الحروب والفتن قد حال دون استحداث أي جديد.

المطلب الثالث - البريد في عصر بني أمية:

اتسعت رقعة دولة الإسلام في العصر الأموي، وكثر خروج العصاة على السلطان، وهذا ما استدعى العناية بالبريد وتنظيمه؛ لتسريع المراسلات ونقل الأخبار بين الخليفة في دمشق وعمّاله في سائر البلاد. ولذا؛ لما استقر الملك في بني أمية كان البريد من المسائل التي وجة معاوية بن أبي سفيان عليه السلام (41 - 60هـ/661 - 680م) الاهتمام بها، فكان أول من وضع ديواناً للبريد في الإسلام⁽⁶¹⁾؛ كي تُسرّع إليه الأخبار من كل الأمصار⁽⁶²⁾. ولقلة دراية العرب آنذاك بالنظم الإدارية؛ فقد استعان معاوية عليه السلام برجال من الفرس والروم، فوضعوا له البريد حسب ما يريد⁽⁶³⁾. وذهب القلقشندي إلى أن معاوية عليه السلام نقل نظام البريد الذي كان لدى أكاسرة الفرس⁽⁶⁴⁾.

ومما يجدر ذكره، أن معاوية عليه السلام لم يأت بجديد، فالبريد - كما تقدم معنا في عصر الخلافة الراشدة - قد شهد تطوراً لافتاً، وبخاصة في عهد عمر بن الخطاب عليه السلام؛ إلا أن معاوية عليه السلام اتخذ له ديواناً ولم يكن قبل ذلك، ورتب الدواب في محطات البريد، حتى يسهل نقل المكاتبات في أقل وقت ممكن⁽⁶⁵⁾.

ولم يكن البريد في عهد معاوية لينقل المراسلات بين الخليفة وولاته فحسب، بل كان باستطاعة أي إنسان أن يبعث إلى الخليفة ما يريد عن طريق بريده، فكان عامل معاوية عليه السلام إذا أراد أن يُرَد بريداً نادى: "من له حاجة فليكتب إلى أمير المؤمنين⁽⁶⁶⁾".

وكان للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65 - 86هـ/685 - 705م) اليد الطولى في نهضة البريد وإرساء قواعده وأحكامه⁽⁶⁷⁾. ومن صور عناية عبد الملك بالبريد واهتمامه به أنه قال لحاجبه ابن الزعزعة⁽⁶⁸⁾: "وليتك ما خلف بابي إلا أربعة: المؤذن فإنه داع إلى الله فلا حجاب عليه، وطارق الليل، فإنه لو وجد خير لنام، والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يُحجب، وربما أفسد على القوم تدبير سنتهم حبسهم البريد ساعة، والطعام إذا أدرك فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول⁽⁶⁹⁾".

وكان عبد الملك إذا ما أراد أن يولي أحدًا عمل البريد سأل عن صدقه ونزاهته وأناته، ويقول: "كذبه يُشكك في صدقه، وشهره يدعوه في الحق إلى كتمانته، وعجلته تهجم بمن فوقه على ما يؤتمه ويندمه⁽⁷⁰⁾". ولحاجة الخليفة إلى رجل يثق به ويطمئن إليه؛ فقد ولى عبد الملك أمر البريد لأحد خواصه، وأقرب رجاله وهو قبيصة بن ذؤيب⁽⁷¹⁾.

(1) الجيشياري، أبو عبدالله، محمد بن عبدوس بن عبدالله (ت 331هـ/943م)، الوزراء والكتّاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1357هـ/1938م)، 21.

(2) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل (ت 395هـ/1005م)، الأوائل، تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري (الرياض: دار العلوم، د.ت)، 331.

(3) ابن فضل الله العمري، التعريف، 265: القلقشندي، صبح الأعشى، 14: 367 - 368.

(4) ابن فضل الله العمري، التعريف، 265.

(5) القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (بيروت عالم الكتب، د.ت)، 3: 342.

(6) سعداوي، نظام البريد، 53.

(7) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبدالله (ت 654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعلام، تحقيق: إبراهيم الزبيق (دمشق: الرسالة العالمية، 1434هـ/2013م)، 8: 97.

(1) أبو هلال العسكري، الأوائل، 331: القلقشندي، مآثر الإنافة، 3: 342.

(2) لم أفع له على ترجمة.

(3) أبو هلال العسكري، الأوائل، 331 - 332.

(4) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 6: 42.

(5) قبيصة بن ذؤيب: أبو سعيد الخزازي، مدني، فقيه، كثير الحديث، ثقة. قيل إنه وُلد عام الفتح، وحيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له. روى عن أبي بكر وعمر وجماعة آخرين، وروى عنه جماعة. وكان أثر الناس عند الخليفة عبد الملك، وولاه ديواني الخاتم والبريد، وكان يقرأ الكتب إذا وردت، ثم يدخل بها على عبد الملك لينظر فيها. توفي قبيصة في السنة التي مات فيها عبد الملك، أي: سنة 86هـ/705م. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبدالله (ت 764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/2000م)، 34: 140.

ومن الإضافات المهمة التي كان للخليفة عبد الملك قصب السبق فيها قيامه ببناء الأميال في الطرقات، والمقصود ببناء الأميال مسح الأرض؛ لوضع حدود، أو نصب حجارة، على كل مسافة قدرها ميل⁽⁷²⁾. ولقد كُثِفَ في القرن الماضي عن نقوش بالقرب من بيت المقدس تشير إلى أوامر عبد الملك لعماله بصنع الأميال، إضافة إلى أوامره بعمارة أربع طرق تخرج من بيت المقدس ومن دمشق⁽⁷³⁾.

ولم يقف دور البريد عند توصيل الكتب ونقل الأخبار، بل عهد إليه عبد الملك مهاماً عسكرية جسيمة؛ إذ كان الجند يُحملون على دواب البريد المعروفة بسرعتها عند نشوب الحروب واضطراب الفتن. يقول ابن جرير الطبري في تاريخه؛ واصفاً بعض ما جرى بين أمير العراقين الحجاج بن يوسف والثائر على الدولة ابن الأشعث⁽⁷⁴⁾: "وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن محمد [عبدالرحمن بن الأشعث]... وفرسان الشام يسقطون إلى الحجاج، في كل يوم مائة وخمسون وعشرة وأقل على البُرْد من قبل عبد الملك، وهو في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كتبه ورسله بخبر ابن مُحَمَّد: أي كورة نزل، ومن أي كورة يرتحل، وأي الناس إليه أسرع⁽⁷⁵⁾".

واتخذ الحجاج بن يوسف في نقل الأخبار بسرعة ما يُسمى بـ "المناظر"، وهي أبراج عالية تنتصب فوق المرتفعات، وتتصل بين ثغر قزوين والعراق، فكان أهل قزوين⁽⁷⁶⁾ إذا دَخَنُوا دَخَنَتِ المناظر إن كان الوقت نهائياً، وإن كان ليلاً أشعلوا نيراناً، فُتَجَرَدَ الخيل إليهم⁽⁷⁷⁾. وعلى ذكر الحجاج، فإن كتبه كانت ترد إلى محمد بن القاسم الثقفي⁽⁷⁸⁾ في بلاد السند⁽⁷⁹⁾، وكتب محمد ترد على الحجاج بصفة ما قبله، كل ثلاثة أيام⁽⁸⁰⁾، وهذا يدل على السرعة التي بلغها نظام البريد في عهد الخليفة عبد الملك.

وأما عمر بن عبدالعزيز (99 - 101هـ/717 - 719م)، فسمح على نظام البريد مسحة إنسانية رقيقة تُعبر عن صدق تدينه ونبل أخلاقه. وهذا أمر لا يُستغرب من خليفة عُرف بالزهد والعدل والورع حتى عدُّ عند سلف هذه الأمة خامس الخلفاء الراشدين. جاء في (أنساب الأشراف) أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى بعض عماله "إن البريد جناح المسلمين، وبه نفاذ أمور السلطان، وتعمل ما يحتاجون إلى معرفته من الأخبار، فأحسن تعهده والقيام عليه، وإدراار أرزاق قوامه وأعوانه. ولتجدد له علوقته وينظر في مصلحته إن شاء الله، والسلام⁽⁸¹⁾". ومما يُؤثر عن عمر أنه أمر ببناء خانات للبريد، وبخاصة على طريق خراسان؛ ليبيت بها الناس، وأمكنة تقيم بها الدواب، ومخازن للعلف، وأحواض مياه للشرب⁽⁸²⁾. وبلغ من رفق عمر بن عبدالعزيز بدواب البريد أن نبى العمال عن ضربها بأسواط يُوضع في طرفها قطعة من حديد، ونهاهم أيضاً عن تعليق اللجام الثقيل بالدواب⁽⁸³⁾.

(6) كراتشوفسكي، اغناطيوس بوليا، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم (القاهرة: جامعة الدول العربية، 1957م)، 1: 61؛ كاشف، سيده إسماعيل، الوليد بن عبد الملك (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1962م)، 182.

(7) كاشف، الوليد بن عبد الملك، 182.

(1) ابن الأشعث: ابن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير سجستان، خلع عبد الملك بن مروان ودعا لنفسه، وارتد بجيشه إلى العراق وأميرها الحجاج بن يوسف، فلم يزل هو والحجاج في حروب وكروب وكُرِّ وفَرَّ، إلى أن ظفر به الحجاج وقتله، وطيف برأسه سنة 83هـ/702م أو نحوها. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت نحو 284هـ/897م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير المهنا (بيروت: الأعلمي للمطبوعات، 1431هـ/2010م)، 198 - 201: الصفدي، الوافي بالوفيات، 18: 134 - 135.

(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2 (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، 6: 339.

(3) قزوين (بالفتح، ثم السكون، ثم كسر الواو): فتحها المسلمون في عهد الخليفة عثمان بن عفان (23 - 35هـ/644 - 656م)، وبينها وبين مدينة الري سبعة وعشرون فرسخاً، ويُنسب إليها خلق لا يُحصون من أهل العلم والعلم. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد الجندي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 4: 389 - 391.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5: 403.

(5) محمد بن القاسم الثقفي: من رجالات الدهر، كان عاملاً للحجاج بن يوسف على السند ففتحها، فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة (96 - 99هـ/715 - 717م) أساء عزله، وحُمِلَ إلى العراق، فبسط عليه عاملها صالح بن عبدالرحمن العذاب إلى أن مات. الصفدي، الوافي بالوفيات، 4: 245 - 246.

(6) السند: (بكسر أوله وسكون ثانيه): بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، وقصبة السند مدينة يُقال لها: المنصورة، ومن مدنها دَبِيل، ومذهب أهلها الغالب عليها مذهب أبي حنيفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3: 303.

(7) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م)، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع (بيروت: مؤسسة المعارف، 1407هـ/1987م)، 613 - 614.

(1) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي (بيروت: دار الفكر، 1417هـ/1999م)، 8: 185.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6: 567.

(3) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 911هـ/1505م)، المحاضرات والمحاورات (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ)، 123.

ومن صور ورع عمر بن عبدالعزيز أنه كان لا يحمل على البريد إلا ما كان في حاجة للمسلمين؛ لأن البريد إنما وُضع لخدمة الدولة ومصالح المسلمين العامة، فيقال إنه كتب إلى عامل له ليشتري له عسلًا، ولا يُسخر فيه شيئًا، فحمله عامله على مركبة من البريد، فلما أتى قال: "على ما حملة؟ قالوا: على البريد، فأمر بذلك العسل فبيع وجعل ثمنه في بيت مال المسلمين، وقال: أفسدت علينا عسلك"⁽⁸⁴⁾.

المبحث الثالث – البريد في خلافة الوليد بن عبد الملك:

ورث الخليفة عبد الملك بن مروان ولده الأكبر الوليد دولة واسعة الأرجاء، راسخة البنیان، قوية الأركان، فنهض بالأمر أحسن نهوض، وكان خير خلف لخير سلف، وكانت أيام الوليد مليئة بالفتوحات العظام؛ فبعد أن أدخل موسى بن نصير بلاد المغرب كلها تحت راية الإسلام، وجه طارق بن زياد إلى الأندلس، ثم لحق به، فكان الفتح المبين، وسار محمد بن القاسم الثقفي إلى بلاد السند، فكسر عساكرها ودخل أهلها في الطاعة، ودوّخ قتيبة بن مسلم الباهلي ممالك بلاد ما وراء النهر، فتساقطت الواحدة تلو الأخرى، ووطأت سنايك خيل المسلمين أطراف الصين⁽⁸⁵⁾.

وإلى جانب الفتوحات في المشرق والمغرب، فقد كان الخليفة الوليد شديد الكلف بالعمارات والأبنية واتخاذ المصانع والضياع، وهو من أنفق الأموال الجزيلة على بناء المسجد الأموي بدمشق، وتوسيع الحرمين الشريفين بمكة والمدينة وتجميلهما، وكان أول من عمل مستشفى للمرضى في الإسلام، وبنى دارًا للضيافة، وأعطى الناس، وأجرى على المجذومين ومنعهم من سؤال الناس، وجعل لكل مُقعد خادمًا، وكل ضرير قائدًا⁽⁸⁶⁾.

ولسائل أن يسأل: ما صلة هذا الكلام بنظام البريد في خلافة الوليد بن عبد الملك؟! لقد تبين لي من النظر في أحوال البريد في العصر الأموي على وجه التحديد أن شخصية الخليفة وسمة عصره غالبًا ما تنعكس على البريد؛ ففي خلافة عبد الملك بن مروان اكتسب البريد طابعًا عسكريًا لحاجة عبد الملك إلى السرعة في التصدي لأعدائه، وهو ما اوضح لنا في فتنة ابن الأشعث، وأما في خلافة عمر بن عبدالعزيز فقد اكتسب البريد طابعًا إنسانيًا؛ لما عُرف عن عمر من شدة الورع وتحري العدل، وأما في خلافة الوليد، فسنجد أن البريد قد واكب النهضة العمرانية التي وسمت خلافة الوليد التي أشرنا إليها آنفًا، دون أن نغفل جهود البريد وتفاعله الدائم مع حركة الفتوحات الواسعة، وهي أمور سنعرض لها في حينه إن شاء الله.

وقبل أن نتناول استخدامات البريد في خلافة الوليد، فهناك مسألة ينبغي لنا الوقوف عندها وإزالة اللبس عنها، وأعني بذلك ما جاء عند القلقشندي، وتابعه في ذلك صاحب كتاب (بلغة الظرفاء) أبو الحسن الروحي؛ إذ ذكرا أن الخليفة الوليد هو أول من بنى الأميال في الطرقات⁽⁸⁷⁾، وهذا قول مخالف للصواب؛ لأن الخليفة عبد الملك هو أول من أمر بعمل الأميال – كما تقدم معنا –، ولا يمنع هذا أن يكون الخليفة الوليد أكمل ما بدأ به والده. وربما خلط القلقشندي بين بناء الأميال ووضع المنارات في الطرقات؛ ففي كتاب (العيون والحدائق) نجد إشارة من مؤلفه المجهول إلى أن الوليد هو أول من وضع المنار في الطرقات؛ حتى يستضيء بنورها أصحاب البريد وعامة الناس⁽⁸⁸⁾. الآن، وبعد أن انتهينا من هذه المقدمة القصيرة، أن لنا أن ننظر في استعمالات البريد في خلافة الوليد بن عبد الملك.

المطلب الأول - استعماله في الأعمال العسكرية:

دلّت المصادر التاريخية على أن البريد لم ينقطع بين الخليفة الوليد وأمراء جيوشه في شرق الخلافة وغيرها، فكان عمال البريد يحملون إلى أولئك الأمراء أوامر الوليد بدمشق وتوجهاته، ويعودون إليه بأخبار الفتح وما استجد من الأمور.

فلما اكتمل لموسى بن نصير فتح بلاد المغرب (89هـ/707م)، وصفت له الأمور هناك، أخذ يرنو ببصره إلى الأندلس، فكتب إلى الوليد يستأذنه في فتحها، فأشار عليه أن يختبرها أولاً بالسرايا، ولا يُغرر بأحد من المسلمين⁽⁸⁹⁾. وزعم صاحب كتاب (الإمامة والسياسة) أن الوليد لما

(4) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ/1038م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (القاهرة: مطبعة السعادة، 1394هـ/1973م)، 5: 293.
(5) بلاد ما وراء النهر؛ ويُقال لها: بلاد الهياطلة، والمقصود بالنهر هنا نهر جيحون، وتضم جملة من الأقاليم، مثل: الصغد، وخوارزم، والختل، وفرغانة، والشاش، وأشروسنة. لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط 2 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م)، 476 – 477؛ الطاهر، عبد الباري محمد، خراسان وما وراء النهر: بلاد أضاءت العالم بالإسلام (الفيوم: رياض الصالحين، 1414هـ/1994م)، 41 – 46.

(1) البعقوبي، تاريخ البعقوبي، 2: 207 – 213؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4: 292؛ ابن الطقطقا، الفخري، 127.
(2) القلقشندي، مآثر الإنافة، 1: 136؛ الروحي، أبو الحسن علي بن محمد، بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب (بور سعيد: المكتبة الثقافية الدينية، د.ت)، 60.

(3) مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق (بغداد: مكتبة المثنى، د.ت)، 3: 11.

(1) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 695هـ/1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وأ. ليفي بروفنسال، ط 3 (بيروت: دار الثقافة، 1983م)، 2: 5.

استبسطاً كتاب موسى عليه ظنٌّ به الظنون، وتوهم أنه يريد أن يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها، ثم ما عتم أن دخل عليه وفد من عند موسى عليه علي بن رباح⁽⁹⁰⁾، فقال حين وقف بين يدي الوليد: "تركك موسى بن نصير في الأندلس، وقد أظهره الله ونصره، وفتح على يديه ما لم يُفتح على يد أحد، وقد أوفدني إلى أمير المؤمنين في نفر من وجوه من معه، بفتح من فتوحه"، ثم دفع إليه الكتاب من عند موسى، فقرأه الوليد، فلما أتى على آخره خرَّ ساجداً⁽⁹¹⁾.

ومما يشير إلى وقوف الوليد على ما يدور هناك بواسطة البريد، أنه لما علم أن موسى قد مضى بعساكر المسلمين إلى أقصى الشمال الإسباني، خامره خوف على حياتهم، فأنفذ إليه رسوله ومولاه مغيب الرومي يأمره بالكف عن التوسع، والشخص إلى بالشام، فماتله موسى ريثما يفتح آخر شبر من أرض الأندلس⁽⁹²⁾. ولما أبطأ موسى في الخروج من الأندلس، حمل الوليد على البريد رسوياً آخر، فقدم على موسى، وأخذ بعنان فرسه، وقفل به إلى المشرق⁽⁹³⁾.

ولم تغفل عين الخليفة الوليد عن الجناح الشرقي من ديار الإسلام، ولا عن قتيبة بن مسلم الباهلي وهو يجوس بجنوده في بلاد ما وراء النهر، ويفتتح مدائنها، ويحوز معاقلها، ويحطم أصنامها. وعندنا نص من كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري يقول فيه الوليد لقتيبة: "قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدك في جهاد أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذي يجب لك، فالهم مغازيك، وانتظر ثواب ربك، ولا تغب عن أمير المؤمنين كتبك؛ حتى كأني أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت به⁽⁹⁴⁾". فكما ترى، فإن هذه الرسالة إلى قتيبة لا تُظهر لنا مدى عناية الوليد بجهاد الكفار فقط، بل تُظهر لنا قدرة نظام البريد على نقل الأخبار إلى الخليفة دون انقطاع وكأنه ينظر إلى قتيبة ومن معه.

المطلب الثاني - استعماله في الأعمال العمرانية:

ورد القول في مستهل المبحث الثالث أن نظام البريد في خلافة الوليد بن عبد الملك قد ارتقى بوظائفه كي يساير النهضة العمرانية التي طبعت عصر الوليد، ففي كتاب (التعريف) للعمري أن الوليد كان: "يحمل عليه [البريد] الفسيفساء - وهو الفص المذهب - من القسطنطينية إلى دمشق، حتى صَفَّح منه حيطان المسجد الجامع، ومساجد مكة والمدينة والقدس الشريف⁽⁹⁵⁾". ونجد عند الفاكهي في (أخبار مكة) إشارة إلى أن الوليد بدأ العمل في زخرفة المسجد المكي وتزيينه مع دخول سنة 88هـ/706م⁽⁹⁶⁾، وكذلك عند الطبري في (تاريخ الرسل والملوك) إلى أن البدء في توسعة مسجد الرسول ﷺ وتزيينه بالفسيفساء كان في السنة المذكورة⁽⁹⁷⁾. وهذا يدل على أن توظيف البريد في خدمة الأغراض الحضارية انطلق مع أول خلافة الوليد تقريباً.

المطلب الثالث - استعماله في التجسس:

إن من أعظم المهام لنظام البريد - إلى جانب مهمته الأساسية في نقل الرسائل - أن يكون بمنزلة العين التي يرى بها صاحب الأمر والأذن التي بها يسمع، وهذا العمل الأصيل ليس بدءاً عند الأمويين، بل سبقهم إلى ذلك الأمم القديمة. ومن طريف ما ذُكر في تقييد عمل البريد - ويُقصد بذلك التجسس على الناس - قول أحد الشعراء في رجل وُلِّيَ البريد:

صرت يا عامل البريد مقيئاً وقديماً إليّ كنت حبيباً
كنت تستثقل الرقيب فقد صرت علينا بما وُلِّيت رقيباً

(2) علي بن رباح: أبو عبد الله ابن رباح بن قصير اللخمي، شيخ فاضل جليل من جملة التابعين، روى عن جملة من الصحابة، وروى عنه خلق كثير. قدم إفريقية غازياً مجاهداً وسكن القيروان واختط بها داراً ومسجداً، وانتفع به وتفقه على يديه أهل القيروان. المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد 453هـ/1061م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسآكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، ط 2 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1994م)، 119.

(3) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/889م)، الإمامة والسياسة (القاهرة: مطبعة الفتوح الأدبية، د. ت)، 2: 61 - 62.

(4) خطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، ط 7 (بيروت: دار الفكر، 1404هـ/1984م)، 1: 267.

(5) مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها - رحمة الله - والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط 2 (القاهرة: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1989م)، 27؛ خطاب، قادة فتح المغرب، 1: 270.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6: 492 - 493.

(1) ابن فضل الله العمري، التعريف، 266: القلقشندي، صبح الأعشى، 14: 368.

(2) الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق المكي (ت 275هـ/888م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط 4 (مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، 1424هـ/2003م)، 2: 161.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6: 435 - 436.

أفلا يعجب الأنام لشخص صار ذنبًا وكان طبيبًا ربيبًا⁽⁹⁸⁾

ومن الأمثلة على استخدام البريد: في هذه الغاية أن عمر بن عبدالعزيز لما أخذ في هدم المسجد النبوي والتوسعة فيه - كما أمره الوليد بن عبد الملك - صاح خبيب بن عبد الله بن الزبير⁽⁹⁹⁾: "اليوم مُحيت آية من كتاب الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ⁽¹⁰⁰⁾}"، فكتب بذلك عامل البريد إلى الوليد بدمشق، فكتب الوليد إلى عامله عمر يأمره بجلد خبيب مائة سوط⁽¹⁰¹⁾، وأن يصبَّ على رأسه قربة من ماء بارد، فضربه في غداة باردة وصبَّ عليه الماء، فمرض ثم مات⁽¹⁰²⁾.

وكان البريد في أيام الوليد يقوم بمسؤولياته في نقل الأخبار خير قيام، ولنا في قصة التابعي الجليل سعيد بن جبير⁽¹⁰³⁾ مع الحجاج بن يوسف أفضل مثال، فمن المعلوم أن ابن جبير كان على نفقات الجند مع عبدالرحمن بن الأشعث - المذكور آنفًا -، ثم إنه بايع ابن الأشعث، فجيء به أسيرًا إلى الحجاج، فعاتبه وعفا عنه، ثم رده إلى ابن الأشعث رسولًا، فعصى ثانية. وبعد أن قُتل ابن الأشعث تقلبت باين جبير الأحوال، ثم استخفى بمكة زمناً. ولما صار خالد بن عبدالله القسري⁽¹⁰⁴⁾ أميرًا على مكة، حمل ابن جبير إلى العراق. وحين وقف ابن جبير بين يدي الحجاج، قال: "لعن الله ابن النصرانية! [خالد القسري] أما كنت أعرف مكانه بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة"، ثم أمر بقتله في قصة مشهورة لا سبيل لسردها لضيق المقام⁽¹⁰⁵⁾. فكل ما همنا من هذه القصة أن عيون عمال البريد رصدت مكان ابن جبير، ونقلت الخبر إلى الحجاج، ولكنه غضَّ الطرف عنه.

ومثلما كان البريد ينقل أخبار الولاة للخلفاء، فقد كان ينقل إلى الولاة أخبار عمالهم على المدن والقرى، فمن ضمن أوراق البردي أو الرسائل التي عُثر عليها بمصر إبان إمارة الوالي عليها قُرة بن شريك⁽¹⁰⁶⁾ من قبل الوليد بن عبد الملك رسالة منه إلى عامل له اسمه بسيل كان على أشقوه (كورة من كور مصر) يقول فيها: "... فإن القاسم بن سيار صاحب البريد ذكر لي أنك أخذت قُرْفِي أرضك بالذي علمهم من الجزية، فإذا جاءك كتابي هذا فلا تعترضنَّ أحدًا منهم بشيء حتى أحدث إليك فيهم إن شاء الله. والسلام على من اتبع الهدى⁽¹⁰⁷⁾". كما هو واضح، فهذه الرسالة تبين لك أن عمال البريد لا يتأخرون في نقل الأخبار إلى الولاة إذا ما رأوا من الأمراء التابعين للوالي ميلاً يدعوهم إلى التبليغ عنهم.

(4) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ/1038م)، تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق: نبيل عبدالرحمن حياوي (بيروت: دار الأرقام، دت)، 56.

(5) خبيب بن عبدالله بن الزبير: أسنَّ أولاد عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، وقيل: هو أسنهم بعد حمزة، وكان خبيب قد لقي كعب الأحبار، ولقي العلماء، وقرأ الكتب، وكان من اللسَّانك، وروى عن أبيه، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وروى عنه جماعة. المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي (ت 742هـ/1342م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط 2 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ/1987م)، 8: 224 - 227.

(1) سورة الحجرات: الآية (4).

(2) ورد عند الصفدي أنه ضربه خمسين سوطاً فقط. الصفدي، الوافي بالوفيات، 13: 179.

(3) مجهول، العيون والحدايق، 3: 4.

(4) سعيد بن جبير: أبو عبدالله، وقيل: أبو محمد، بن هشام الأسدي بالولاء، كوفي، أحد أعلام التابعين، أخذ العلم عن عبدالله بن العباس وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما. قتله الحجاج بن يوسف في شهر شعبان سنة 95هـ/714م، وقيل: سنة 94هـ/714م، وهذا الأرجح، وكان قتله بمدينة واسط بالعراق، وبها دُفن، وقبره يُزار. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، 1397هـ/1977م)، 2: 371 - 374.

(5) خالد بن عبدالله القسري: الأمير الكبير، أبو يزيد، أمير العراقيين لهشام بن عبد الملك (105 - 125هـ/724 - 743م)، ووُيِّ قبل ذلك مكة للوليد وسليمان، كان جوادًا ممدحًا خطيبًا مفوهًا من نبلاء الرجال. وما زال خالد أميرًا لهشام إلى أن عزله سنة 120هـ/بيوسف بن عمر الثقفي، فقدم خالد الشام. ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن يزيد (125 - 126هـ/743 - 744م) دفع خالد القسري إلى يوسف الثقفي، فعذبته عذابًا شديدًا، وهو في ذلك لا يتأوه ولا ينطق حتى مات. ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2: 226 - 231: الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، رتبه وزاده فوائده واعتنى به: حسان عبدالمنان (عمان - الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2004م)، 1598 - 1600.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6: 487 - 491.

(7) قُرة بن شريك: بن مرثد العبيسي، ولأه الوليد بن عبد الملك إمارة مصر، فدخلها سنة 90هـ/709م، ووسَّع المسجد الجامع بها بأمر من الوليد، وقبض على جماعة من الخوارج الشراة كانوا ينوون الفتك به فقتلهم، وأنتم تدوين الدواوين بمصر، وتوفي قرة سنة 96هـ/714م، فكان مجموع ولايته على مصر ستة أعوام. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)، ولاية مصر، تحقيق: حسين نصار (بيروت: دار صادر، دت)، 84 - 86.

(1) أبو صفية، جاسر خليل، برديات قُرة بن شريك العبيسي، ط 2 (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1443هـ/2022م)، 193 -

وعلاوة على ذلك، فهذه الرسالة وغيرها من الرسائل تصور لنا عدل قرة بن شريك ورفقه بالرعية وشدته على أمرائه، وهي الحقيقة التي غابت عن المؤرخين وأصحاب التراجم، فتنافسوا فيما بينهم - سامحهم الله - في نعتة بالظلم والجور والفسق وسوء السيرة وخبث السريرة⁽¹⁰⁸⁾.

المطلب الرابع - استعماله في نقل الولاية الجدد إلى ولاياتهم:

كان بعض الولاة يفزعون حين تطرق أسماعهم قعقعة خيول البريد؛ خوفاً من أن يحمل البريد الوالي الجديد؛ ولهذا قال عبيدالله بن زياد⁽¹⁰⁹⁾: "نعم الشيء الإمارة لولا قعقعة البريد وتشرف المنبر⁽¹¹⁰⁾". وهي لا شك عبارة تصور قلق الوالي وترقبه للعزل عن منصبه في أي لحظة. ونُقل عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لأولاده، وكأنه يريد أن يختبرهم: "أتحيون أن أوتي كل رجل منكم جنداً، فينطلق تصلصل به جلاجل البريد؟ فقال له ابنه ابن الحارثية: لم تعرض علينا ما لست صانعه؟ فقال عمر: إني لأعلم أن بساطي هذا يصير إلى البلى، وإني لأكره أن تدنّسوه بخفافكم، فكيف أقدّمكم ديني تدنّسوه في كل جند؟"⁽¹¹¹⁾.

ومن الأمثلة على قدوم الوالي الجديد محمولاً على البريد ما أشار إليه الكندي في كتابه (ولاة مصر) من أن قرة بن شريك - المذكور آنفاً - أقبيل سنة 90هـ/709م على أربع من دواب البريد، إحداهن عليهن الفرانق - دليلهم إلى مصر -، فدخل المسجد وصلى، فجلس في مجلس الوالي، وجلس صاحبه عن يمينه ويساره، فأتى الخبير عبدالله بن عبد الملك⁽¹¹²⁾ - أخا الوليد بن عبد الملك - وكان الوالي على مصر وقتها، فبكى ولبس خفه قبل سراويله دهشاً⁽¹¹³⁾.

المطلب الخامس - استعماله في نعي الولاة إلى الخليفة:

كان إذا مات الخليفة سار البريد بالخبر إلى ولي عهده وولاته على الأمصار، فلما توفي معاوية رضي الله عنه انطلق البريد إلى ابنه يزيد بالخبر ولم يكن بدمشق حينها، فقال:

جاء البريد بقرطاس يخبُّ به فأوجس القلب من قرطاسه فرعاً⁽¹¹⁴⁾

وبالمثل، فعندما يموت الوالي فإن البريد يخرج إلى الخليفة في الحال، يذكر البلاذري أن خادماً للوليد ذكر أنه كان يصب الماء على يد الوليد - في وضوئه لصلاة الفجر - والماء يسيل على يد الخليفة وهو ساوٍ، والخادم لا يجسر أن يتكلم، ثم رفع الوليد رأسه لخادمه، وقال: "ويلك! أتدري ما جاء الليلة؟ فقال الخادم: لا. قال: ويلك مات الحجاج!⁽¹¹⁵⁾". يتضح من الرواية أن البريد كان لا يُحجب ليلاً أو نهاراً - كما سبق لعبد الملك بن مروان أن قاله لحاجبه -، فكيف لو كان البريد يحمل خبراً بموت رجل كالحجاج بن يوسف؟!

وما دمنا بصدد الحديث عن نعي الولاة بواسطة البريد، فقد ذكر سبط ابن الجوزي أن البريد ورد على الوليد في يوم واحد بموت الحجاج بالعراق وقرة بمصر، فصعد الوليد المنبر وهو حاسر أشعث الرأس، فنعاهما للناس، وقال: "والله لأشفعنّ لهما شفاعة تنفعهما. فقال عمر بن عبدالعزيز: انظروا إلى هذا الخبيث، لا أناله الله شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وألحقه بهما". فاستجاب الله دعاءه وأهلك الله الوليد

(2) انظر مثلاً إلى ترجمته عند: ابن عساکر، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/1176م)، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر العمري (بيروت: دار الفكر، 1415هـ)، 49: 305 - 309؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 10: 101 - 102؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 24: 172.

(3) عبيدالله بن زياد: بن أبي سفيان، أبو حفص، ويُقال له: ابن مرجانة، وهي من بنات ملوك الفرس، وُلِّي خراسان، فكان أول عربي قطع نهر جيحون، وولِّي البصرة، وضُمت إليه الكوفة، وهو مُتهم عند المسلمين بقتل الحسين صلى الله عليه وسلم في كربلاء، وكان يلحن في كلامه. ولما مات يزيد بن معاوية (60 - 64هـ/680 - 683م)، هرب من العراق إلى الشام، وانضم إلى مروان بن الحكم (64 - 65هـ/683 - 684م)، وأعانه على رد الشام إلى ملك بني أمية بعد أن كادت تخرج عنهم، ثم جهزه عبد الملك بن مروان (65 - 86هـ/684 - 705م) إلى العراق، فالتقى بجيش المختار الثقفي في الخازر سنة 67هـ/686م، فانكسر جيش ابن زياد وقتل. الذهبي، أعلام النبلاء، 2615 - 2616؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 1318 - 1319.

(4) الأبي، أبو سعد منصور بن حسين الرازي (ت 421هـ/1030م)، نثر الدرر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبدالغني محفوظ (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م)، 5: 10.

(5) الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت 277هـ/890م)، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1393هـ/1974م)، 5: 578.

(1) عبدالله بن عبد الملك: بن مروان بن الحكم، ولأه أبوه عبد الملك بن مروان غزو أرض الروم، وبنى المصيصة. ولما توفي عمه والوالي على مصر عبدالعزيز بن مروان، سَيره أبوه إليها، فدخلها في سنة 86هـ/705م، ثم أقره أخوه الوليد بن عبد الملك عليها. وأمر عبدالله بالدواوين، فنُسخت بالعربية، وكانت قبل ذلك بالقبطية، وابتنى المسجد المعروف باسمه. وفي ولايته غلت الأسعار، فتشام به المصريون، وهي أول شدة رأوها، وكانت مدة ولايته نحو أربع سنين، وتوفي في حدود سنة 100هـ/719م. الكندي، ولاة مصر، 79 - 84؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، 29: 343 - 353.

(2) الكندي، ولاة مصر، 83.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 5: 161.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، 8: 78.

بعدهما بثمانية أشهر أو أقل⁽¹¹⁶⁾. إن هذه الرواية – التي أريد بها الطعن في الوليد – هي بلا شك زلة من صاحب (مرآة الزمان)؛ لأن الثابت عند المؤرخين أن الحجاج مات في سنة 95هـ/714م، وأما قُرّة فكان موته في السنة التي تليها، ومن ثم فهذه الرواية باطلة جلياً.

المطلب السادس - استعماله في الأمور الشخصية:

لا تقف مهام البريد عند توصيل الرسائل المتعلقة بأمور الدولة فحسب، بل من الجائز أن يُستعمل في أمور خاصة، فحين مات أمير اليمن محمد بن يوسف الثقفي⁽¹¹⁷⁾، وجد أخوه الحجاج أن أخاه ترك خلفه مალًا عظيمًا، فخشي أن يكون جمعه بالباطل وظلم الناس، فكتب إلى الخليفة الوليد كتابًا جاء فيه: "أخبر أمير المؤمنين - أكرمهم الله - أنه أصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار، فإن يكن أصحابها من حلها فرحمه الله، وإن تكن من خيانة فلا رحمه الله!". فلما ورد كتاب الحجاج إلى الوليد، كتب إليه يهّون عليه، فقال: "أما بعد، فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلف محمد بن يوسف، وإنما أصاب ذلك المال من تجارة له أحلناها، فترحم عليه، رحمه الله!"⁽¹¹⁸⁾

وجاء عند الأصفهاني - في خبر طويل - أن الوليد كتب إلى عمر بن عبدالعزيز - وكان حينها عاملاً له على الحجاز - أن يُشخص إليه ابن سريج المغني⁽¹¹⁹⁾، فحمله عمر على البريد. وذكر صاحب (الأغاني) أن الوليد أعجب بغناء ابن سريج وأدبه كثيرًا، وأن أحد خواص الوليد لما سمع أبا سريج وهو يغني أخذ الطرب منه كل مأخذ، فما زال يقول ثلاثًا: "حُق لهذا أن يُحمل". ويعني بذلك أن يتكلف البريد حمله من الحجاز إلى دمشق⁽¹²⁰⁾.

الخاتمة:

- أظهرت دراسة البريد في خلافة الوليد بن عبد الملك جملة من النتائج، تلخصها وفق التالي:
1. عرفت البشرية البريد منذ عصور قديمة عندما نشأت الكيانات السياسية، ونشأت الحاجة لدى السلطة السياسية إلى ضبط الأمور في الداخل، إضافة إلى حاجتها إلى مد جسور الصلة بغيرها من الدول.
 2. ظل البريد لقرون طويلة مقصورًا استخدامه على تلبية حاجات الحكومات دون الأفراد.
 3. دلت أشعار العرب قبل الإسلام على أنهم كانوا على علم بالبريد واستعمالاته.
 4. اعتنى النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة بالبريد؛ لاستعماله في رصد الأخبار، فضلًا عن ضرورته في الاتصال بالحكام داخل جزيرة العرب وخارجها لدعوتهم إلى الإسلام.
 5. اشتدّت حاجة المسلمين في عهد الخلافة الراشدة إلى خدمات البريد؛ لنقل أوامر القيادة في المدينة إلى أمراء الجيش إبان حروب الردة داخل الجزيرة ومعارك الفتح خارجها، وتلقي الأخبار وآخر المستجدات من أولئك الأمراء.
 6. حقق البريد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ قفزة ملحوظة؛ إذ أسهم في نقل الأخبار بين المجاهدين وأهاليهم، وأفردت له دار في المدن الكبرى ينزلها عمّال البريد إذا قدموا إليها، إضافة إلى جهود البريد في الرقابة على الولاة وإحاطة الخليفة بما يصدر عنهم.
 7. لم يُتخذ للبريد ديوانًا إلا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ؛ لحاجته إلى ضبط أمور المملكة بعد أن اتسعت حدودها.
 8. أحكم الخليفة عبد الملك بن مروان نظام البريد، وبنى الأميال، واستعان به في الحروب؛ مستفيدًا من سرعته، واعتنى به عناية شديدة.

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 10: 102.

(2) محمد بن يوسف: أخو الحجاج بن يوسف الثقفي، سيّره الحجاج إلى اليمن أميرًا عليها سنة 73هـ/692م، وقيل: في السنة التي قبلها، ولم يكن عبد الله بن الزبير ﷺ قد قُتل بعد، ثم قُتل في السنة نفسها، وبعث الحجاج إليه بصنعاء كف ابن الزبير. وما زال محمد بن يوسف أميرًا على اليمن طيلة خلافة عبد الملك بن مروان (64 - 86هـ/684 - 705م)، وشطرًا من خلافة الوليد، وتوفي في سنة 91هـ/709م. ابن عساکر، تاريخ دمشق، 56: 308 - 316: الصفدي، الوافي بالوفيات، 5: 158 - 159. وانظر أيضًا: العنسي، حسين صالح، "محمد بن يوسف الثقفي (72 - 91هـ/692 - 709م): دراسة تاريخية في سيرته أثناء ولايته على اليمن"، مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مج. 2، ع. 1 (2023م): 5 - 29.

(3) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ/898م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الفكر العربي، 1417هـ/1997م)، 2: 83.

(4) ابن سريج المغني: أبو يحيى عبيد بن سريج، مولى بني نوفل، وقيل غير ذلك، وأبوه كان تركيًا. منزله بمكة، وكان أكثر ما يُرى متقنعًا، وكان منقطعًا إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولا يغني إلا مسيل القناع على وجهه، وهو أول من ضرب بالعود بمكة. توفي في خلافة هشام بن عبد الملك (105 - 125هـ/724 - 743م) بعد أن بلغ الخامسة والثمانين، بعلة الجذام. الصفدي، الوافي بالوفيات، 19: 279 - 280.

(1) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ/976م)، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، ط 3 (بيروت: دار صادر، 1429هـ/2008م)، 1: 196.

9. استعان الخليفة الوليد بن عبد الملك بالبريد في نقل الفسيفساء من القسطنطينية؛ ليصقح جدران المسجد الأموي والمساجد بمكة والمدينة والقدس.
10. واكب البريد الفتوحات الواسعة في خلافة الوليد، فكان ينقل أوامر الخليفة إلى أمراء الجيوش، ويأتيه بأخبار المعارك وسيورها.
11. قام البريد في خلافة الوليد بواجباته في رصد أخبار الخارجين على الدولة، وفي ضبط أداء الولاة وعمالهم والرقابة عليهم.
- وفي الختام، نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل كله صالحاً، ولوجهه خالصاً، ولا يجعل لأحد فيه شيئاً يا رب العالمين، أمين.
- ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا ذنوبنا أجمعين، واختم لنا منك بختام السعادة أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً – المصادر:

- الأبى، أبو سعد منصور بن حسين الرازي (ت 421هـ/1030م). نثر الدرر في المحاضرات. تحقيق: خالد عبدالغني محفوظ. بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م.
- ابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت 630هـ/1233م). أسد الغابة في معرفة الصحابة. بيروت: دار ابن حزم، 1433هـ/2012م.
- الكامل في التاريخ. راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق. بيروت: دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت 606هـ/1210م). النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: محمود محمد الطناحي. القاهرة: المكتبة الإسلامية، د.ت.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ/976م). الأغاني. تحقيق: إحسان عباس وآخرين. ط 3. بيروت: دار صادر، 1429هـ/2008م.
- الأعلام الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن موسى الأندلسي (ت 476هـ/1084م). أشعار الشعراء الستة الجاهليين. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- امرؤ القيس. ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري المتوفي سنة 275هـ. تحقيق: أنور أبو سويلم ومحمد الشويكة. العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، 1421هـ/2000م.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ/870م). صحيح البخاري. دمشق – بيروت: دار ابن كثير، 1423هـ/2002م.
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م). أنساب الأشراف. تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي. بيروت: دار الفكر، 1417هـ/1999م.
- فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع. بيروت: مؤسسة المعارف، 1407هـ/1987م. هذا كتاب البلاذري.
- الثعالبى، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ/1038م). تحسين القبيح وتقبيح الحسن. تحقيق: نبيل عبدالرحمن حياوي. بيروت: دار الأرقم، د.ت.
- الجهشيارى، أبو عبدالله، محمد بن عبدوس بن عبدالله (ت 331هـ/943م). الوزراء والكتّاب. تحقيق: مصطفى السقا وآخرين. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1357هـ/1938م.
- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1449م). الإصابة في تمييز الصحابة. صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1433هـ/2012م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: محب الدين الخطيب. القاهرة: المكتبة السلفية، 1390هـ.
- أبو حيان التوحيدى، علي بن محمد بن العباس (ت نحو 414هـ/1023م). البصائر والذخائر. تحقيق: وداد القاضي. بيروت: دار صادر، 1408هـ/1988م.
- ابن خردادبه، أبو القاسم عبيدالله بن عبيدالله (ت نحو 280هـ/893م). المسالك والممالك. ليدن: مطبعة بريل، 1889م.
- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1397هـ/1977م.
- الخوارزمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت 387هـ/997م). مفاتيح العلوم. راجعه وعلّق على حواشيه محمد كمال الدين الأدهمي. القاهرة: مطبعة عثمان خليل، 1349هـ/1930م.

- ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808هـ/1406م). العبروديان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. اعتنى به وراجعاه: درويش الجويدي. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1434هـ/2013م.
- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (ت 808هـ/1405م). حياة الحيوان الكبرى. تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1435هـ/2014م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م). سير أعلام النبلاء. رتبته وزاده فوائد واعتنى به: حسان عبدالمنان. عمان - الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2004م.
- الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت بعد 666هـ/1268م). مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط 5. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ/1999م.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي بن عبدالله (ت 654هـ/1256م). مرآة الزمان في تواريخ الأعلام. تحقيق: إبراهيم الزبيق. دمشق: الرسالة العالمية، 1434هـ/2013م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت 911هـ/1505م). جمع الجوامع، المعروف بالجامع الكبير. تحقيق: مختار الهانج وأخريين. ط 2. القاهرة: الأزهر الشريف، 1426هـ/2005م.
- المحاضرات والمحاوالت. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله (ت 764هـ/1363م). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/2000م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م). تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط 2. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- طرفة، عمرو بن العبد بن سفيان (ت بعد 554م). الشاعر الجاهلي الشاب طرفة بن العبد. تحقيق ودراسة لشعره وشخصيته. تحقيق: علي الجندي. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد (ت 520هـ/1126م). سراج الملوك. القاهرة: دن، 1289هـ/1872م.
- ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ/1309م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. بيروت: دار صادر، د.ت.
- العباسي، الحسن بن عبدالله (ت 710هـ/1310م). آثار الأول في ترتيب الدول. تحقيق: عبدالرحمن عميرة. بيروت: دار الجيل، 1409هـ/1989م.
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 695هـ/1295م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق: ج. س. كولان وأ. ليفي برونفسال. ط 3. بيروت: دار الثقافة، 1983م.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/1176م). تاريخ دمشق. تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر العمروي. بيروت: دار الفكر، 1415هـ.
- الفاكري، أبو عبدالله محمد بن إسحاق المكي (ت 275هـ/888م). أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. تحقيق: عبد الملك بن عبدالله بن دهيش. ط 4. مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، 1424هـ/2003م.
- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت 277هـ/890م). المعرفة والتاريخ. تحقيق: أكرم ضياء العمري. بغداد: مطبعة الإرشاد، 1393هـ/1974م.
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله بن يحيى (ت 749هـ/1349م). التعريف بالمصطلح الشريف. تحقيق: سمير الدروبي. الكرك: جامعة مؤتة، 1413هـ/1992م.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت 276هـ/889م). الإمامة والسياسة. القاهرة: مطبعة الفتوح الأدبية، د.ت.
- الشعر والشعراء. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر. ط 2. القاهرة: دار المعارف، د.ت.
- قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي. الخراج وصناعة الكتابة. تحقيق: محمد حسين الزبيدي. بغداد: دار الرشيد، 1981م.
- القرطبي، عريب بن سعيد (ت نحو 369هـ/980م). صلة تاريخ الطبري. ليدن، مطبعة بريل، 1897م.
- الفلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1340هـ/1922م.
- مآثر الإنافة في معالم الخلافة. تحقيق: عبدالستار أحمد فراج. بيروت عالم الكتب، د.ت.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/1373م). البداية والنهاية. اعتنى به: حسان عبدالمنان. عمان - الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2004م.
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م). ولاية مصر. تحقيق: حسين نصار. بيروت: دار صادر، د.ت.

- لقيط، يعمر الإيادي. ديوان لقيط بن يعمر الإيادي. تحقيق: محمد التونسي. بيروت: دار صادر، 1988م.
- المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد 453هـ/1061م). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسآكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم. تحقيق: بشير البكوش. ط 2. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ/1994م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ/898م). الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي، 1417هـ/1997م.
- مجهول. أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط 2. القاهرة: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1989م.
- مجهول. العيون والحداثق في أخبار الحقائق. بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.
- المري، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الرزي (ت 742هـ/1342م). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: بشار عواد معروف. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ/1987م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م). لسان العرب. القاهرة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ت.
- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت 430هـ/1038م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. القاهرة: مطبعة السعادة، 1394هـ/1973م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395هـ/1005م). الأوائل. تحقيق: وليد قصاب ومحمد المصري. الرياض: دار العلوم، د.ت.
- ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي (ت نحو 861هـ/1457م). خريدة العجائب وفريدة الغرائب. تحقيق: أنور محمود زناتي. القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية، 1428هـ/2008م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ/1229م). معجم البلدان. تحقيق: فريد الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت نحو 284هـ/897م). تاريخ اليعقوبي. تحقيق: عبد الأمير المهنا. بيروت: الأعلمي للمطبوعات، 1431هـ/2010م.

ثانيًا - المراجع:

- الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). ط 3. بيروت: المكتب الإسلامي، 1408هـ/1988م.
- أنطون، نعمان أفندي. الطائر الغريد في وصف البريد. القاهرة: مطبعة المقتطف، 1890م.
- برستيد، جيمس هنري. انتصار الحضارة: تاريخ الشرق القديم. ترجمة: أحمد فخري. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011م.
- البرقوقي، عبدالرحمن. الذخائر والعقبريات: معجم ثقافي جامع. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- برو، توفيق. تاريخ العرب القديم. ط 2. دمشق: دار الفكر، 1422هـ/2001م.
- خطاب، محمود شيت. قادة فتح المغرب العربي. ط 7. بيروت: دار الفكر، 1404هـ/1984م.
- الداوققي، حسين علي. نظام البريد في الحضارة العربية. مجلة المورد. بغداد. مج 18. ع 1. فبراير، 1989م.
- دوزي، رينها. تكملة المعاجم العربية. ترجمة: محمد سليم النعيمي. بغداد: دار الرشيد، 1980م.
- الروحي، أبو الحسن علي بن محمد. بلغة الطرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء. تحقيق: محمد زينهم محمد عزب. بور سعيد: المكتبة الثقافية الدينية، د.ت.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: إبراهيم التريزي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000م.
- زيدان، جرجي. تاريخ التمدن الإسلامي. القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2012م.
- سعداوي، نظير حسان. نظام البريد في الدولة الإسلامية. القاهرة: دار مصر للطباعة، 1372هـ/1953م.
- أبو صفية، جاسر خليل. برديات قرة بن شريك العبيسي. ط 2. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1443هـ/2022م.
- الصلابي، علي محمد. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: شخصيته وعصره. القاهرة: مؤسسة اقرأ، 1426هـ/2005م.
- الطاهر، عبد الباري محمد. خراسان وما وراء النهر: بلاد أضاءت العالم بالإسلام. الفيوم: رياض الصالحين، 1414هـ/1994م.
- عصفور، محمد أبو المحاسن. معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم: من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر. القاهرة: دار المصري، 1968م.
- عمارة، السيد احمد. دراسة في تصور العصر الجاهلي تحليل وتدقيق. بغداد: مكتبة المتنبي، د.ت.
- عيسى، هيام. البريد في العصور الإسلامية: نشأته، تطوره، أغراضه. رسالة دبلوم، الجامعة اللبنانية، 1413هـ/1992م.

- العنسي، حسين صالح. محمد بن يوسف الثقفي (72 - 91هـ/692 - 709م): دراسة تاريخية في سيرته أثناء ولايته على اليمن. مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد خيضر. بسكرة. مج. 2. ع. 1. 2023م.
- كاشف، سيدة إسماعيل. الوليد بن عبد الملك. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1962م.
- الكتاني، محمد عبدالحى الإدريسي الحسني الفاسي. نظام الحكومة النبوية المسى التراتيب الإدارية. تحقيق: عبدالله الخالدي. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت.
- كراتشوفسكي، اغناطيوس بوليا. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم. القاهرة: جامعة الدول العربية، 1957م.
- الكرمي، حافظ أحمد. الإدارة في عصر الرسول ﷺ: دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى. ط 2. القاهرة: دار السلام، 1428هـ/2007م.
- لسترنج، كي. بلدان الخلافة الشرقية. ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م.
- متر، آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريده. ط 5. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- مسعود، جبران. معجم الرائد. ط 7. بيروت: دار العلم للملايين، 1992م.
- مصلحة البريد. تاريخ البريد في مصر. القاهرة: المطبعة الأميرية، 1934م.
- نخبة من اللغويين. المعجم الوسيط. ط 2. القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1392هـ/1972م.
- الوكيل، مختار. سفراء النبي عليه السلام وكتابه ورسائله. القاهرة: دار المعارف، د.ت.